

كتابُ عليّ ((عليه السلام)) والتدوين المبكر للسنة النبوية الشريفة ويليه

بحث موجز عن الجفر ومصحف فاطمة ((عليها السلام))

دراسة بقلم مصطفى قصير العاملي قسم العقائد في المجمع العالمي لأهل البيت ((عليهم السلام)) 1415 هـ . ق

هوية الكتاب:

الكتاب: كتاب علي (ع) المؤلف: الشيخ مصطفى قصير العاملي الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) المطبعة: أمير التاريخ: 1415 هـ . ق

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمين، محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، الأئمة الميامين. قال تعالى في محكم كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)⁽¹⁾. وقال: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ واحسن تأويلاً)⁽²⁾.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «فالرّاد إلى الله الآخذ بمحكم كتابه، والرّاد إلى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المفرقة»⁽³⁾. يعتبر المسلمون - كل المسلمين - أنّ السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية ومعارفها بعد القرآن الكريم، ومما يؤكد أهميّة السنة النبوية ومكانتها، كونها تفسر الغامض من آيات الكتاب العزيز وتفصّل المجمل منه، فضلاً عن كونها طريقاً لتبليغ الأحكام وبيان معارف الدين. هذا مما لا ريب فيه ولا يناقش فيه أحد من المسلمين أصلاً.

غير أن الوسائل التي انتقلت عبرها السنة النبوية الشريفة، ومرّت من خلالها حتى وصلت إلينا، أدّت إلى وقوع جدل بين المسلمين حول سلامة تلك الوسائل والطرق على نحو يمكن الاطمئنان بأن هذا الواصل إلينا هو سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو أنها تعرّضت أثناء انتقالها من جيل إلى جيل، ومن طبقة إلى طبقة، لعقبات ومشاكل أدّت إلى هبوط ميزان الاعتبار بالنسبة للكثير من مفرداتها، مما يفتح الباب أمام دراسة تلك الطرق وتمحيصها. ومما لا شك فيه أنها قد تعرضت في بعض المنعطفات إلى حالة من الدسّ والتزوير والتحريف والتشويه، تارة عن قصد، وأخرى عن غير قصد.

والبحث في هذه المسألة أخذ جانباً كبيراً من اهتمام العلماء والمحدثين، وثارَت بينهم نزاعات عظيمة حول ذلك، فاندفع البعض منهم إلى اغلاق البحث تماماً بسبب حرصهم الشديد على تصحيح الواقع التاريخي للمسلمين، وابعاد التهمة عن أصحابهم ومحدثيهم ومصنفيهم، وبسبب إحساسهم بخطورة الاستجابة للتشكيكات المطروحة حول سلامة الموجود والمدوّن فيما بأيدينا من الكتب والمجاميع الحديثية، اعتقاداً منهم بأن ذلك سيؤدي

(1) سورة الحشر/ 7 .

(2) سورة النساء/ 59 .

(3) الشريف الرضي: نهج البلاغة/ عهد الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الاشتهر.

بالضرورة إلى فقدان الوسيلة إلى سنة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وبالتالي التخلي عن هذا المصدر الأساس من مصادر الشريعة الإسلامية. لأجل ذلك أغلقوا باب النقاش والبحث في هذا الموضوع، ومنعوا من التعرّض لدراسة الطرق والوسائط، ووضعوا خطأ أحمر يضيف حالة من الحرمة والقداسة على الصحابة الكرام، بالمعنى الواسع جداً للصحابي⁽⁴⁾، وصرحوا بأنهم حملة السنة النبويّة والواسطة بيننا وبين الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأن التعرّض لهم والتشكيك بعدالة أحد منهم أو بصحة ما نقلوا يؤدي إلى إسقاط السنّة النبويّة الشريفة، ولما كان ذلك يجرّهم إلى كارثة كبرى - حسب زعمهم - فلا بدّ من غضّ النظر عن ذلك، والتسليم بسلامة الطرق، وعدالة الصحابة جميعاً، بل اتهام من يطعن بعدالة أحد منهم بأنه يريد هدم الدين والقضاء على الشريعة.

والحقيقة أن هذا النوع من الباحثين نظر إلى الأمور بمنظار ضيق، وفاته أنّ غض النظر عن دراسة وتقييم الطرق التي انتقلت عبرها السنة النبويّة الشريفة، يشكل خطراً أكبر على الشريعة الإسلامية، إذ أنه يكرّس واقعاً مرّاً، ويضيف الشرعية - بلا دليل ولا برهان - على كل ما يحتمل أنه مدسوس في كتب الحديث، وعلى كل ما كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو حرّف من أحاديثه بالزيادة أو بالاسقاط أو بالتغيير والتبديل، مما كان يحصل تارة عن عمد خدمة لبعض المصالح الدنيويّة والمآرب السياسيّة، وأخرى عن غير عمد نتيجة لتقادم العهد وعدم التدوين.

فلماذا ندسّ رؤوسنا في التراب، ونتغاضى عن المشكلات الحقيقية التي عانى منها المسلمون في الحفاظ على الشريعة الغراء، لماذا نصرّ على تعديل وتوثيق من صرّح معاصروه بفسقه وانحرافه، لماذا نكابر والرسول (صلى الله عليه وآله) نفسه يصرح بكثرة الكذابة عليه⁽⁵⁾.

وعلى أي حال فإن المشكلة - كما ذكرنا - نشأت من ضيق النظر والاقتصار على ملاحظة الأمور من زاوية واحدة، والمسألة ليست كما يتصور هؤلاء، وذلك لما يلي:

1 - إن تسرية الجرح والتعديل إلى جميع رواة السنة الشريفة، بما فيهم الصحابة الكرام، لن يؤدّي إلى انسداد باب العلم بالسنة - كما يدعى - ، إذ أن الكثير من الصحابة الأجلاء

(4) عرّف البخاري الصحابي بأنه: من صحب النبي (صلى الله عليه وآله) أو رآه من المسلمين، ووافقه على ذلك ابن حجر العسقلاني في الشرح وقال: إن عمل من صنّف في الصحابة يدلّ على الاكتفاء بمجرد الرؤية ولو من دون تمييز، وقال علي بن المديني: من صحب النبي أو رآه ساعة من نهار فهو من اصحاب النبي.

انظر: محمود أبو ريّة: أضواء على السنة المحمّدية/ 341، القسطلاني: ارشاد الساري 6/ 79.

(5) المجلسي: بحار الأنوار 2/ 225، 273/36، 80/50.

العدول الذين أحرزت وثاقتهم قد نقلوا لنا من الروايات المتضمنة للأحكام ما يطمأن إليه، وجرح البعض ليس هدماً للسنة وإنما هو تنقية لها من الشوائب الغريبة عنها.

2 - ان معرفة السنة الصحيحة الثابتة النقية الخالية عن الأحاديث المشكوكة يهدف إلى التمسك بالدين، والاعتصام بالسنة الحقيقية دون الأوهام والافتراءات والشبهات، وهذا هو الأسلوب العلمي الصحيح في تشييد الدين وترسيخ أركانه، وما أبعد عن الهدم.

3 - ان هؤلاء يدافعون عن أمور ظنيّة - في أحسن حالاتها - ، ويهملون سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) القطعية التي دوت في عصره وبأمره واملائه، بل ينكرونها دون مبرر معقول.

والمؤسف أن مصنفهم ومحدثهم لا يتعرض لشيء من ذلك ولو على نحو الاحتمال، ولا يخفى ما يكمن وراء ذلك من دوافع سياسية.

فإنّ الثابت عندنا بشكل قاطع لا يقبل الشك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ترك سنة مكتوبة فيها كل ما يحتاج إليه الناس، وأن الخلفاء منعوا تدوين السنة النبوية الشريفة في القرن الأول الهجري⁽⁶⁾، وأمروا بمحو ما كان كُتب منها، بل منعوا الرواية إلا في دائرة ضيقة وحدود معينة، حتى تقادم العهد، ومضى الرعيل الأول من المسلمين الذين صحبوا النبي (صلى الله عليه وآله) وسمعوا منه، بل مضى تقريباً جل من قارب عهده (صلى الله عليه وآله) ممّن كانوا على صلة وثيقة وتماس مباشر بالصحاب الكرام. وبدأ المسلمون بالإهتمام بالحديث ففكروا بجمع المتناثر منه وتدوينه في مطلع القرن الثاني كما يقولون، عندما أمر عمر بن عبدالعزيز بذلك⁽⁷⁾، على أن التدوين لم يأخذ الطابع الجدّي إلا على رأس المئتين كما نصّ عليه ابن حجر والحافظ الذهبي واعترف به ابن تيمية⁽⁸⁾. ولقد تعرضت السنة الشريفة خلال تلك الحقبة لهزّات عنيفة، لا يؤمن معها بقاؤها على نقائها وسلامتها، بل الأدلة متظافرة على أن تلك الفترة شهدت نشاطاً واسعاً للوضاعين والكذابين خاصة خلال الفترة الأولى من قيام الدولة الأموية⁽⁹⁾. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: إنا كنا مدّة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال

(6) راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى 140/5، الذهبي: تذكرة الحفاظ 2/1 - 5، العسكري: معالم المدرستين 46/2، الجلال: تدوين السنة النبوية 263 وما بعدها و 431.

(7) العسقلاني: فتح الباري 208/1 باب كتابة العلم، محمد ابو زهرة: الحديث والمحدثون/ 179، 245، محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث/ 176 - 177.

(8) ولعل مرادهم أنه بداية التصنيف لا التدوين، فمن المعروف أن أقدم المصنفات الحديثية ترجع إلى بداية القرن الثالث.

(9) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 63/4 - 72.

رسول الله، ابتدرته أبصارنا وأصغينا بأذاننا، فلما ركب الناس الصعبة والذلّ لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف⁽¹⁰⁾.

وقد كتّى (رضي الله عنه) بركوب الصعبة والذلّ عن الخلط بين الكذب والصحيح في حديثهم. إنّ قلة الإقبال على الكتابة عند العرب قبل الاسلام، وعدم إدراك قيمة التدوين من قبل الكثير من المسلمين، لم يمنع العديد من الصحابة الكرام أن يقيّدوا بعض ما سمعوه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حديث وتشير بعض النصوص إلى أنه (صلى الله عليه وآله) قد أذن بذلك، بل حث عليه، حتى أن الكثير من الصحابة الكرام نسبت لهم صحائف كانوا دونوها على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلا أن التدوين لم يصبح ظاهرة عامة، فتركت كارثة المنع من التدوين في القرن الأول الهجري والأمر بمحو واحراق ما كتب من الحديث النبوي الشريف أسوء الأثر على السنة النبوية الشريفة، فقد اتاحت الفرصة لمن يريد العبث بها، مستفيداً من عوامل عدّة، منها تقادم العهد وتفرق الصحابة والنسيان وتوسع البلاد الاسلامية، كل هذا جعل من دراسة الحديث النبوي الشريف والتثبت منه عملية شاقة تتطلب خبرة واسعة وجهوداً كبيرة.

ويبدو أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أدرك بعلمه الواسع وحكمته ونظره الثاقب وتدبيره المسدّد بالوحي، أنّ الشريعة الاسلامية لكي يضمن لها البقاء والاستمرار والسلامة تحتاج إلى ثلاثة دعائم:

الأولى: القرآن الكريم الحبل الممدود من السماء إلى الأرض، وكتاب الله الذي فيه الهدى، ومعجزة الرسول (صلى الله عليه وآله) الخالدة. فركز (صلى الله عليه وآله) إهتمامه على نشره وحث المسلمين على حفظه والعناية به والتمسك بمعارفه واحكامه، وأمر كتاب الوحي بتدوينه ونشر صحائفه ليحفظ من التحريف والتغيير، وقد تأتى له ذلك، ولم يرحل عن هذه الدنيا حتى كان مجموعاً مدوّناً عند عدد لا يستهان به من المسلمين⁽¹¹⁾.

الثانية: العترة النبوية الطاهرة من أهل البيت (عليهم السلام) الذين ربّاهم الرسول (صلى الله عليه وآله) تربية خاصة، وأهلهم لتحمل أعباء الرسالة من بعده، فكانوا المطهّرين من الذنوب، المنزهين عن المعاصي، والأوعية النقية لاحتواء الشريعة ومعارف الدين، وقد جعلهم (صلى الله عليه وآله) مرجعاً للأمة وولاءاً لأمرها، وحراساً على الدين، وأماناً من الضلال والعمى،

(10) محمود أبو ريّة: أضواء على السّنة المحمدية/ 67 .

(11) نحن نعتقد بأن القرآن جمع في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأن الجمع الذي تم بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) كان لغرض استنساخ نسخة منه لدار الخلافة ليس إلا، وهناك العديد من النصوص التي رووها عن جمع عدد من الصحابة للقرآن الكريم في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فراجع: السيد جعفر مرتضى العاملي: حقائق هامة/ 90 - 99 .

وأوصى باتباعهم والالتزام بهم والتمسك بعروتهم الوثقى جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم، فقال:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا
وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»⁽¹²⁾.

الدعامة الثالثة: سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسددة بالوحي والمؤيدة بالتنزيل وقد
أشرنا في صدر البحث لاثنتين من الآيات الآمرة باتباع الرسول (صلى الله عليه وآله) من دون فرق
بين حياته وما بعد وفاته:

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)⁽¹³⁾.
(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفياً)⁽¹⁴⁾.

ولم يكن المسلمون الذين عايشوا الرسول (صلى الله عليه وآله) على مستوى واحد في قدراتهم
الفكرية وفي عمق إيمانهم وفي إمكاناتهم التي تؤهلهم لحمل ثقل الرسالة ودرك جميع غاياتها
وأسرارها، فكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يلقي على الناس من المعارف ما يتناسب مع
طاقاتهم الذهنية، ويبين لهم من أحكام الدين وتكاليفه ما يحتاجونه في ابتلاءاتهم اليومية.
إلا أن الرسالة المحمدية باعتبارها الرسالة الخاتمة لا بدّ لها أن تحوي من الأحكام
والمعارف ما يفي بحاجات كل العصور والأجيال وما يناسب كل العقول والأذهان، فمن هنا
تبرز أهمية الدعامة الثانية باعتبارها المؤهلة لأداء هذا الدور، وتحمل هذه المسؤولية وليس
ذلك ناشئاً من عجز الرسول (صلى الله عليه وآله) عن تبليغ الرسالة أو تقصيره - والعياذ بالله - بل
من جهة خصوصيات الزمان والمكان واختلاف الناس، والمستجدات التي تستدعي البيان
عند وقت الحاجة، وإيصال ما يخص الأزمنة المتأخرة لأهلها سالمًا، فضلاً عن مهمة حفظ
الأحكام الثابتة من الضياع وحراستها من تلاعب الأهواء واختلاف الأذواق، فإن التبليغ
بنفسه لا يفي بمثل هذه المهمة، ومن أجل كل ذلك كانت الإمامة - بهذا المعنى الواسع - من
ضرورات الرسالة.

(12) روى هذا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) 35 صحابياً وصحابية، وقد نقله الخاصة والعامة في كتبهم ومجاميعهم
ونص على صحته كثير من الحفاظ والمحدثين والفقهاء والمحققين. راجع مصادره في خلاصة عبقات الأنوار للسيد الميلاني،
وفصل مصادر حديث الثقلين في مجلة رسالة الثقلين العدد السابع ص106.

(13) سورة آل عمران/ 144.

(14) سورة النساء/ 80 .

وقد عمل الرسول (صلى الله عليه وآله) - بعد مهمة الاعداد والتأهيل - على تعريف الأئمة الذين أعدّهم لتحمل الأمانة بكل ما تحويه الرسالة الخاتمة من معارف وأحكام، ورسم لهم كل ما يحتاجونه في طريق قيادة الأمة وولاية أمرها، فكانوا بذلك الثقل الثاني.

الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن ضئيلاً بشيء من أحكام الشريعة ولا معارف الدين، وهو المبعوث لتبليغها لا لكتمانها، إلا أن عامة الناس الذين آمنوا به وصدّقوه لم يكونوا يملكون القلوب والأوعية التي تؤهلهم لتحمل كل أسرار الرسالة ودقائق معارفها، وليس ذلك انقاصاً من شأنهم وتوهيناً لهم، ونحن جميعاً نعرف أن المعارف الإلهية وعظيم أسرارها إذا ألقيت على عوام الناس، لم يدركوها وربما تركت أثراً سلبية بل ربما أدت إلى انحرافهم عن جادة الصواب.

ولأجل هذا نرى أساتذة الفلسفة والعرفان يوصون تلامذتهم بالحرص على كتمان علومهم عن عامة الناس وعدم إلقائها إلى من لا يتحملها، مع أنها من العلوم والمعارف التي يتوصل إليها الإنسان بعقله وفكره، فكيف بما هو فوق عقول البشر وإدراكهم.

أضف إلى ذلك أن الناس لا يحفظون كل ما يسمعون، ولا يستوعبون كل ما يحفظون، والشواهد على ذلك كثيرة جداً، فبعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) اضطربت آراء المسلمين في أبسط الأمور وأيسرها، فقد اختلفوا في عدد تكبيرات صلاة الميت ولم يحفظوا سنة رسول الله فيها حتى جمعهم الخليفة على عدد، رغم أنهم صلوا معه مئات وربما آلاف المرات⁽¹⁵⁾.

وأمثال ذلك مما لا يخفى على من ألقى نظرة على كتب الفقه والحديث والسيرة. فعمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي تربى في حجره وصنع على عينه، بعد أن عرف فيه القدرة الكافية والمؤهلات المناسبة، فأخذ يزرقه العلم زقاً ويلقنه المعارف يوماً بيوم حتى صار مستودع علمه والأمين على ما علمه الله تعالى من العلوم والمعارف. وفي هذا يقول (عليه السلام):

«علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم يفتح لي كل باب ألف باب»⁽¹⁶⁾.

ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله) فيما تواتر عنه:

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها»⁽¹⁷⁾، وفي بعض الروايات: «فمن أراد المدينة فليأت

الباب»، وفي بعضها: «فمن أراد العلم فليأتها من قبل بابها».

(15) مصنف ابن أبي شيبة 183/3 - 188، كتاب الجنائز. وراجع كتب الحديث الأخرى.

(16) المجلسي: بحار الأنوار 144/40، وفي معناه أحاديث كثيرة، راجع ص 127 - 145 من نفس المصدر.

(17) راجع طرق هذا الحديث في كتاب «فتح الملك العليّ بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ» للامام المحدث أحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي، وكتاب «احقاق الحق» للشهيد التستري وملحقاته للسيد المرعشي 469/5 - 501، و277/16 - 298،

ويقول أمير المؤمنين (عليهما السلام):

«ولقد كنت أتبعه [يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله)] إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة»⁽¹⁸⁾.

ولم يكتف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك بل كان يأمر علياً (عليهما السلام) أن يكتب كل ما يملي عليه فقال (عليه السلام) مرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله):

«يا نبي الله، أتخاف عليّ النسيان؟ قال: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك، قال: قلت: ومن شركائي يا نبي الله؟ قال: الأئمة من ولدك...»⁽¹⁹⁾.

وكان من جملة ما أملاه عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكتب بخطه صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم، وهذه الصحيفة اشتهر أمرها عند الشيعة وتحدث عنها أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وقد حوت كل ما يحتاج إليه الناس من الأحكام حتى قيام الساعة، وبقيت سنداً قطعياً دون باشراف من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وحفظ عند أمناء الأمة وحفظة الدين أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، من ضمن ودائع النبوة ودلائل الإمامة.

وكان هناك عدد آخر من الصحائف والمدونات التي أملاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) وخطها بيمينه نستعرضها في نهاية البحث إن شاء الله.

وهذا أهم ما يميز مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي نتمسك بها، حيث أنها تعتمد في تلقي الأحكام الشرعية والمعارف الدينية على الدعائم الثلاثة المتقدمة، وقد منّ الله علينا بهذه النعمة الكبيرة التي نتمنى ونحب أن تعم جميع المسلمين وأن ينعموا بها ويتقيّوا ظلالها ويتذوقوا حلاوتها.

وأخيراً.. أليس من الجدير بنا - نحن المسلمين - إذا كنا طلاب حق أن نبحت عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي انتقلت عبر الوسائل المأمونة والمضمونة، الخالية عن

و415/21 - 428، حيث أحصى طرقه من كتب العامة، وراجع أيضاً كتاب «الفصول المائة» للسيد ناظم زاده القمي 509/2 - 520، وغيرها من المصادر.

(18) الشريف الرضي: نهج البلاغة/ الخطبة 192.

(19) المجلسي: بحار الأنوار 232/36، والصدوق: كمال الدين 206/1، وأمالى الصدوق/ 327، وأمالى الشيخ الطوسي 454/2، والصفار: بصائر الدرجات/ 167.

الشوائب، النقية عن الغرائب، فنشد الرحال إليها ونعض عليها بالنواجذ والاسنان؟! (فماذا
بعد الحق إلا الضلال)⁽²⁰⁾.

* * *

الصحيفة الجامعة أو كتاب عليّ ((عليه السلام))

يعتبر الشيعة أنّ التدوين الرسمي للحديث النبوي بدأ برعاية رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه، وأنه (صلى الله عليه وآله) أملى على علي بن أبي طالب (عليه السلام) صحيفة كبيرة حوت من الأحكام ما يفي بجميع حاجات الناس حتى قيام الساعة، وأنّ هذه الصحيفة أوّل كتاب جامع مانع للسنة النبويّة الشريفة فيما يتعلق بالحلال والحرام.

هذه الحقيقة قد تشكل مفاجأة بالنسبة للأذهان المشبعة بما كان يسعى لتكريسه جمع كبير من المحدثين والباحثين والكتّاب، الذين خُدعوا - وللأسف - بروايات يبدو أنها صنعت على طبق أهواء السلاطين، ضمن مخطط سياسي كبير استهدف إبعاد أهل البيت (عليهم السلام) عن مراكز القيادة، وصرف الأنظار عنهم، والحيلولة دون التقاف الناس حولهم.

ومفردات هذا المخطط الخطير كثيرة جداً لا يسع المقام لاستعراضها، وما تعرّض له أهل البيت (عليهم السلام)، وذوو القربى من بني هاشم عامة والعلميين خاصة، وأشياعهم وأتباعهم منذ قيام دولة بني أميّة، وعلى امتداد دولة بني العباس، والذين جاؤوا من بعدهم، من المصائب والمآسي المؤلمة، كلها تدخل ضمن هذا المخطط المأساوي الخطير.

ونحن هنا سنتعرض بالبحث والتدقيق لهذه الحقيقة التي تعني فيما تعنيه أن على المسلمين جميعاً - غير الشيعة الإمامية - أن يعيدوا النظر في مدوّنتهم الحديثيّة، وأن يقارنوها بما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، الذين حفظوا سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بعده، ونشروا منها ما مكنتهم الظروف من نشره.

هذه الحقيقة تعني فيما تعنيه أيضاً أنّ علينا أن لا نتعامل مع أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على أنها آراء شخصية كبقية آراء واجتهادات العلماء، وأنّا علينا أن ننظر إليها على أنها أقوال تحكي سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتنقلها لنا بألفاظها أو بمعانيها من دون تغيير ولا تبديل.

نحن نطرح هذه الحقيقة مع أدلتها لذوي الانصاف والنظر المتجرد عن الخلفيات والعصبانيات، والأذهان التي تحمل روح البحث والتدقيق، والعقول المنفتحة التي تطلب الحق ولا تريد سوى الحق.

كتاب عليّ ((عليه السلام)) في النصوص:

من يتصفح مصادر الحديث عند الشيعة الامامية يجد الكثير من الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قد صرّحت بأنها مستقاة من كتاب علي (عليه السلام) وقد أحصيت المئات من الموارد التي يقول فيها الامام (عليه السلام):

«وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كذا».

أو: «في كتاب علي (عليه السلام) كذا»، أو «كذا في كتاب علي (عليه السلام)».

أو: «.. هكذا في كتاب علي (عليه السلام)».

أو: «.. وذلك في كتاب علي (عليه السلام)» وامثال ذلك.

وفي بعض الروايات تصريح أكثر حيث تقول:

«ان في كتاب علي (عليه السلام) الذي أملاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ...» أو «الذي هو

املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ...» وامثال ذلك.

والملاحظ أن أغلب الروايات التي تصرّح بذكر كتاب علي (عليه السلام) قد رويت عن الإمام جعفر الصادق وعن أبيه الإمام محمد الباقر (عليهما السلام)، ويقلّ ذلك عن غيرهما من أئمة بيت العصمة والطهارة، ولنا وقفة مع هذه الملاحظة في موضع آخر من هذا البحث ان شاء الله، والذي يهمنا هنا هو أن الظاهر من مجموع هذه النصوص أن مسألة وجود كتاب لعلي (عليه السلام) يتداوله الأئمة كانت معروفة في أوساط أصحابهم، ولأجل هذا لا تجد في تلك الروايات من يستفسر منهم بعد ذكره من قبل الامام (عليه السلام) عن ماهية هذا الكتاب وعن مكان وجوده إلا فيما شدّ وندر، ومن المسلم عند الجميع أنه لم يكن منتشرًا عند أتباع الأئمة (عليهم السلام) وشيعتهم، وانما هو من مختصاتهم ومن العلوم التي استأثروا بها وتوارثوها، وأظهروا منها ما يحتاجه الناس، كلما سنحت الفرصة وسئلوا عن حكم من الأحكام.

هذا النوع من النصوص ينتشر في كتب الحديث عند الشيعة وفي جميع الأبواب، وقد أحصى عدداً كبيراً منها العلامة المحقق آية الله الشيخ علي الأحمدى⁽²¹⁾.

وهناك العديد من النصوص الأخرى التي تحدثت عن كتاب علي (عليه السلام) في سياق الحديث عن ودائع النبوة التي يتوارثها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وتشكل تراثاً مختصاً بالامامة ووثيقة حيّة تحفظ السنة النبوية والمعارف الإلهية، ومرجعاً للأمة ومنقذاً لها من الحيرة والضلال.

فمن هذه النصوص:

(21) الأحمدى: مكاتيب الرسول/ 72 - 89 .

1 - ما روي عن أبي بصير في حديث عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: يا أبا محمد، وإنّ عندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة؟! قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله) واملائه من فلق فيه، وخط عليّ بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش.. الحديث (22).

2 - وعنه أيضاً عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول - وذكر ابن شبرمة (23) في فتياه - فقال: أين هو من الجامعة، أملى [املاء خ] رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخطه [بخط عليّ (عليه السلام) بيده، فيها جميع الحلال والحرام، حتى أرش الخدش فيه (24).]

3 - وعن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبدالله (عليه السلام) بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علماً، قال له: فالجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج (25)، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش (26)..

4 - وعن بكر بن كرب الصيرفيّ قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس [أحد خ]، وإن الناس ليحتاجون إلينا، وإن عندنا كتاباً إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط عليّ (عليه السلام)، صحيفة فيها كل حلال وحرام (27).

5 - وفي رواية أخرى عنه قال: كنا عند أبي عبدالله (عليه السلام) فسمعناه يقول: أما والله عندنا ما لا نحتاج إلى الناس، والناس ليحتاجون إلينا، إن عندنا لصحيفة سبعون ذراعاً بخط عليّ واملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله).. فيها من كل حلال وحرام (28).

6 - وعن فضيل بن يسار قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): يا فضيل، عندنا كتاب عليّ سبعون ذراعاً ما على الأرض شيء يُحتاج إليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش، ثم خطه بيده على ابهامه (29).

(22) الكليني: الكافي 1/239، والمجلسي: بحار الأنوار 22/26، 38، والصفار: بصائر الدرجات 143/152.

(23) هو عبدالله بن شبرمة كان قاضياً بالكوفة وصديقاً لأبي حنيفة، راجع: الذهبي: سير اعلام النبلاء 347/6 - 349.

(24) المجلسي: بحار الأنوار 35/26، والصفار: بصائر الدرجات 145/148.

(25) الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين. ابن منظور: لسان العرب 2/346.

(26) الكليني: الكافي 1/241، والصفار: بصائر الدرجات 142/153 وفي ص 149 عنه قريب منه.

(27) الكليني: الكافي 1/241 - 242، والصفار: بصائر الدرجات 154 وفي ص 149 عنه قريب منه.

(28) الصفار: بصائر الدرجات 142.

(29) الصفار: بصائر الدرجات 147.

7 - وعن مروان قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: **عندنا كتاب عليّ (عليه السلام) سبعون ذراعاً**⁽³⁰⁾.

8 - وعن عنبسة العابد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: **إن في كتاب⁽³¹⁾ الذي هو املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخطه عليّ بيده إن كان في شيء شوم ففي اللسان**⁽³²⁾.

9 - وعنه أيضاً قال: سمعت جعفر بن محمد (عليه السلام) - وذكرت عنده الصلاة - فقال: **إن في كتاب علي الذي هو املاء رسول الله أن الله تبارك وتعالى لا يعذب على كثرة الصلاة والصيام ولكن يزيده جزاءً [أجراً]**⁽³³⁾.

10 - وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: **إن عندنا جلدًا سبعون ذراعاً أملى رسول الله وخطه عليّ بيده، وإن فيه جميع ما يحتاجون إليه حتى أرش الخدش**⁽³⁴⁾.

11 - وفي رواية أخرى عنه أنه قال: **وإن عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً وأملأها رسول الله وخطها عليّ بيده، وأن فيها لجميع ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش**⁽³⁵⁾.

12 - وفي رواية أخرى عنه قال: سمعته يقول: **.. فيها خط عليّ واملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) من فلق فيه، ما من شيء يحتاج إليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش**⁽³⁶⁾.

13 - وعن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: **في كتاب عليّ كل شيء يحتاج إليه حتى أرش الخدش**⁽³⁷⁾...

14 - وعن حمّاد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: **ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حدّ كحدّ الدور، وإنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ولأنّ عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعاً، وما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا فيها، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدور فهو من الدور، حتى أرش الخدش وما سواها والجلدة ونصف الجلدة**⁽³⁸⁾.

(30) الصفار: بصائر الدرجات/ 147.

(31) كذا في المصدر ولعل الصواب: في كتاب علي، بقرينة الرواية الآتية.

(32) الصفار: بصائر الدرجات/ 147، 165 - 166.

(33) الحر العاملي: وسائل الشيعة 4/ 103 و 10/ 407، والصفار: بصائر الدرجات/ 165.

(34) الصفار: بصائر الدرجات/ 147.

(35) الصفار: بصائر الدرجات/ 143، 155، 159.

(36) الصفار: بصائر الدرجات/ 155.

(37) الصفار: بصائر الدرجات/ 148، 164.

(38) الصفار: بصائر الدرجات/ 148.

15 - عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليهما السلام) قال: إن الحسين (عليه السلام) لما حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة ووصية باطنة، وكان علي بن الحسين مبطوناً لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار ذلك إلينا، فقلت: فما في ذلك؟ فقال: فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفتنى الدنيا⁽³⁹⁾.

16 - عن أبي شيبه قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ضلّ علم ابن شبرمة عند الجامعة، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً، فيها علم الحلال والحرام، إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزداهم من الحق إلا بعداً، وإن دين الله لا يصاب بالقياس⁽⁴⁰⁾.

17 - عن محمد بن حكيم عن أبي الحسن [الكاظم] (عليه السلام)، قال: إنما هلك من كان قبلكم بالقياس إن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه حتى أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه، فجاءكم مما تحتاجون إليه في حياته، وتستغيثون به وبأهل بيته بعد موته، وإنها صحيفة [مصحف خ] عند أهل بيته حتى أن فيه لأرشد خدش الكف [أرشد الخدش خ] ⁽⁴¹⁾...

18 - عن علي بن الحسين [أبي حمزة البطائي] عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم إلا ما عند الناس، فقال: صدق والله عبد الله بن الحسن، ما عنده من العلم إلا ما عند الناس، ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام⁽⁴²⁾...

19 - عن أبي مريم [الأنصاري] قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): عندنا الجامعة، وهي سبعون ذراعاً فيها كل شيء حتى أرشد الخدش، إملأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي (عليه السلام)⁽⁴³⁾...

20 - عن علي بن سعيد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: أما قوله في الجفر، إنما هو جلد ثور مدبوغ كالجراب، فيه كتب، وعلم ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة من حلال وحرام، إملأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي (عليه السلام)⁽⁴⁴⁾.

(39) الصفار: بصائر الدرجات/ 148، وبسند آخر عنه مع اختلاف يسير في المتن ص 149، 163.

(40) الصفار: بصائر الدرجات/ 146، 149 - 150، الكليني: الكافي 57/1.

(41) الصفار: بصائر الدرجات/ 147، 150.

(42) الصفار: بصائر الدرجات/ 157، 161.

(43) الصفار: بصائر الدرجات/ 160.

(44) الصفار: بصائر الدرجات/ 160، 161.

- 21 - عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن عندنا لصحيفة سبعون ذراعاً إملأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط عليّ (عليه السلام) بيده، ما من حلال ولا حرام إلا وهو فيها حتى أرش الخدش⁽⁴⁵⁾.
- 22 - وفي رواية أخرى عنه قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن عندنا لصحيفة يقال لها الجامعة ما من حلال وحرام إلا وهو فيها حتى أرش الخدش⁽⁴⁶⁾.
- 23 - عن حمران بن أعين عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: أشار إلى بيت كبير وقال: يا حمران، إن في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخط عليّ وإملأ رسول الله، ولو ولينا الناس لحكمنا بينهم بما أنزل الله، لم نعد ما في هذه الصحيفة⁽⁴⁷⁾.
- 24 - عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): إن عندنا صحيفة من كتب عليّ طولها سبعون ذراعاً، فنحن نتبع ما فيها لا نعدوها. قال: وسألته عن ميراث العلم ما بلغ؟ أجوامع هو من العلم أم فيه تفسير كل شيء من هذه الأمور التي تتكلم فيه الناس مثل الطلاق والفرائض؟ فقال: إن علياً (عليه السلام) كتب العلم كله، القضاء والفرائض، فلو ظهر أمرنا لم يكن شيء إلا فيه سنة نمضيها⁽⁴⁸⁾.
- 25 - عن ابن العباس عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: والله، إن عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش، إملأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكتبه عليّ بيده صلوات الله عليه⁽⁴⁹⁾.
- 26 - عن منصور بن حازم قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن عندنا صحيفة فيها ما يحتاج إليه حتى أن فيها أرش الخدش⁽⁵⁰⁾.
- 27 - وعنه عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إن عندي [عندنا خ] صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها ما يحتاج إليه حتى أن فيها أرش الخدش⁽⁵¹⁾.
- 28 - عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: إن في البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً ما خلق الله من حلال ولا حرام إلا فيها حتى أرش الخدش⁽⁵²⁾.

(45) الصفار: بصائر الدرجات/ 142، 143.

(46) الصفار: بصائر الدرجات/ 144.

(47) الصفار: بصائر الدرجات/ 143، 164.

(48) الصفار: بصائر الدرجات/ 143.

(49) الصفار: بصائر الدرجات/ 145.

(50) الصفار: بصائر الدرجات/ 145.

(51) الصفار: بصائر الدرجات/ 144.

29 - عن محمد بن عبد الملك قال: كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) نحواً من ستين رجلاً، قال: فسمعتة يقول: **عندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعاً ما خلق الله من حلال وحرام إلا وهو فيها حتى أن فيها أرش الخدش** (53).

30 - عن عبد الله بن أيوب عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: **ما ترك عليّ شيعة وهم يحتاجون إلى أحد في الحلال والحرام، حتى أنا وجدنا في كتابه أرش الخدش،** قال: ثم قال: **أما إنك إن رأيت كتابه لعلمت أنه من كتب الأولين** (54).

نكتفي بنقل هذا المقدار، وهناك طائفة أخرى من الروايات لمن رام الاستقصاء. على أن الروايات التي أشرنا إليها سابقاً، وأنها تضمنت حكاية الأئمة (عليهم السلام) لبعض مضامين كتاب عليّ (عليه السلام) أو اسناد حكم إليه، وقلنا أن عددها بالعشرات بل بالمئات، كلها تؤيد وتعزز وجود هذا الكتاب عند الإمام الصادق (عليه السلام) وغيره من أئمة أهل البيت (عليهم السلام). وإذا تواتر ذلك عنهم فلا يبقى مجال للشك في وجود السنة النبوية الشريفة المدونة بأشراف مباشر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأملائه، وأنها محفوظة عندهم مصونة عن التحريف والتزوير.

وعصمة الامام (عليه السلام) الثابتة بالأدلة القطعية تكفي في إثبات ذلك، بل ليس لأحد ممن ينكر عصمتهم (عليهم السلام) أن يشكك في ذلك أيضاً بعد أن أجمع القاصي والداني والعدو والموالي على وثاقتهم وأنهم كانوا أروع أهل زمانهم واعلمهم. خاصة بالنسبة للامام الصادق (عليه السلام) الذي شدت إليه الرحال، واجتمع عليه طلاب العلم، وتتلذذ عليه أشهر أئمة المذاهب، وشهد بفضله أهل العلم أجمع.

شهادات حسية:

قد وردت نصوص عديدة تدل على مشاهدة بعض أصحاب الأئمة لكتاب عليّ (عليه السلام)، أو لبعض أجزائه، وهي شهادات حسية، نورد ما تيسر منها:

1 - عن أبي بصير قال: أخرج إليّ أبو جعفر (عليه السلام) صحيفة فيها الحلال والحرام والفرائض، قلت: ما هذه؟ قال: **هذه املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخطه عليّ بيده.** قال:

(52) الصفار: بصائر الدرجات/ 145.

(53) الصفار: بصائر الدرجات/ 144.

(54) الصفار: بصائر الدرجات/ 166.

فقلت: فما تبلى؟! قال: فما يبليها؟! قلت: وما تدرس؟! قال: وما يدرسها؟! قال: هي الجامعة أو من الجامعة⁽⁵⁵⁾.

2 - وعنه أيضاً عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كنت عنده فدعا بالجامعة فنظر فيها أبو جعفر (عليه السلام) فاذا فيها المرأة تموت وتترك زوجها ليس لها وارث غيره، قال: **قله المال كله**⁽⁵⁶⁾.

3 - وعن أبي بصير المرادي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن شيء من الفرائض، فقال لي: **ألا أخرج لك كتاب عليّ (عليه السلام)؟** فقلت: كتاب عليّ (عليه السلام) لم يدرس؟! فقال: **إن كتاب عليّ (عليه السلام) لا يدرس، فأخرجه، فاذا كتاب جليل، واذا فيه: رجل مات وترك عمه وخاله، فقال: للعم الثلثان وللخال الثلث**⁽⁵⁷⁾.

4 - عن معتب [مولى أبي عبد الله] قال: أخرج إلينا أبو عبد الله (عليه السلام) صحيفة عتيقة من صحف عليّ (عليه السلام) فاذا فيها ما نقول إذا جلسنا لنتشهد⁽⁵⁸⁾.

5 - عن عبد الملك بن أعين قال: أراني أبو جعفر (عليه السلام) بعض كتب عليّ، ثم قال لي: **لأي شيء كتبت هذه الكتب؟** قلت: ما أبين الرأي فيها. قال: **هات، قلت: علم أن قائمكم يقوم يوماً فأحب أن يعمل بما فيها، قال: صدقت**⁽⁵⁹⁾.

6 - وعنه أيضاً قال: دعا أبو جعفر (عليه السلام) بكتاب عليّ، فجاء به جعفر مثل فخذ الرجل مطوياً، فاذا فيه: **ان النساء ليس لهن من عقار الرجل إذا هو توفي عنها شيء، فقال: أبو جعفر (عليه السلام): هذا والله خط عليّ بيده واملاء رسول الله**⁽⁶⁰⁾.

7 - عن محمد بن مسلم قال: أقرأني أبو جعفر (عليه السلام) صحيفة كتاب الفرائض التي هي املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط عليّ (عليه السلام) بيده، فاذا فيها **أن السهام لا تعول**⁽⁶¹⁾.

8 - وعنه أيضاً قال: أقرأني أبو جعفر (عليه السلام) صحيفة كتاب الفرائض، التي هي املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط عليّ (عليه السلام) بيده، فوجدت فيها: **رجل ترك ابنته وأمه، للإبنة النصف ثلاثة أسهم، وللأم السدس سهم، يقسم المال على أربعة أسهم**⁽⁶²⁾...

(55) الصفار: بصائر الدرجات/ 144.

(56) الصفار: بصائر الدرجات/ 145.

(57) الحر العاملي: وسائل الشيعة 186/26، والكليني: الكافي 119/7، والطوسي: تهذيب الأحكام 324/9.

(58) الصفار: بصائر الدرجات/ 145.

(59) الصفار: بصائر الدرجات/ 162.

(60) الحر العاملي: وسائل الشيعة 212/26.

(61) الحر العاملي: وسائل الشيعة 74/26، الطوسي: تهذيب الأحكام 247/9.

- 9 - وعنه أيضاً قال: أقرأني أبو جعفر (عليه السلام) شيئاً من كتاب عليّ (عليه السلام) فإذا فيه: **أنهاكم عن الجري والزقير والمارماهي والطافي والطحال...** الحديث⁽⁶³⁾.
- 10 - وعنه أيضاً قال: أقرأني أبو جعفر (عليه السلام) صحيفة الفرائض التي هي املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط عليّ (عليه السلام) بيده، فقرأت فيها: **امراة ماتت وترك زوجها وأبويها، فللزوجة النصف ثلاثة أسهم، وللأم الثلث سهمان، وللأب السدس سهم**⁽⁶⁴⁾.
- 11 - عن عذافر الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (عليه السلام)، فجعل يسأله وكان أبو جعفر (عليه السلام) له مكرماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر (عليه السلام): **يا بني قم فأخرج كتاب علي، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، وفتح [ففتحه خ] وجعل ينظر حتى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر [(عليه السلام)] : هذا خط عليّ (عليه السلام) واملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله). وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد، إذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (عليه السلام)**⁽⁶⁵⁾.
- 12 - عن زرارة قال: أمر أبو جعفر (عليه السلام) أبا عبد الله (عليه السلام) فأقرأني صحيفة الفرائض، فرأيت جل ما فيها على أربعة أسهم⁽⁶⁶⁾.
- 13 - وعنه أيضاً قال: أراني أبو عبد الله (عليه السلام) صحيفة الفرائض فإذا فيها: **لا ينقص الأبوان من السدسين شيئاً**⁽⁶⁷⁾.
- 14 - وعنه أيضاً قال: أراني أبو عبد الله (عليه السلام) صحيفة الفرائض، فإذا فيها: **لا ينقص الجد من السدس شيئاً، ورأيت سهم الجد فيها مثبتاً**⁽⁶⁸⁾.
- قال الحر العاملي: يستفاد من أحاديث كثيرة أن زرارة قرأ صحيفة الفرائض بخط عليّ (عليه السلام)، وأنهم كانوا يرجعون إليه لأجل ذلك⁽⁶⁹⁾.

(62) الحر العاملي: وسائل الشيعة 128/26، والكليني: الكافي 93/7، والصدوق: من لا يحضره الفقيه 192/4، والطوسي: تهذيب الأحكام 270/9. ومراده (عليه السلام) أن الفرض هو النصف والسدس إلا أن الزائد يردّ عليهما بالنسبة فالفريضة عندئذ تصبح أربعة أسهم.

(63) الحر العاملي: وسائل الشيعة 130/24، والكليني: الكافي 219/6، والطوسي: تهذيب الأحكام 2/9.

(64) الحر العاملي: وسائل الشيعة 125/26، والصدوق: من لا يحضره الفقيه 195/4، والكليني: الكافي 98/7. والطوسي: تهذيب الأحكام 284/9، والاستبصار 142/4.

(65) رجال النجاشي/ 360 الترجمة/ 966.

(66) الحر العاملي: وسائل الشيعة 73/26، والكليني: الكافي 81/7.

(67) الحر العاملي: وسائل الشيعة 81/26، 130، والطوسي: تهذيب الأحكام 273/9.

(68) الحر العاملي: وسائل الشيعة 170/26، 178، والطوسي: تهذيب الأحكام 306/9، والاستبصار 158/4.

(69) الحر العاملي: وسائل الشيعة 118/26.

ويظهر أنّ صحيفة الفرائض هذه كانت جزءاً من كتاب عليّ (عليه السلام) الذي نتحدث عنه، كما هو صريح بعض النصوص المتقدمة حيث نسب أحكام الفرائض إلى كتاب عليّ (عليه السلام)، وهو الأنسب لما وصفت به النصوص ذلك الكتاب أو الصحيفة بأن فيه كل حلال وحرام وما يحتاج الناس إليه وأمثال ذلك مما ظاهره الشمولية، بل قولهم (عليهم السلام) حتّى الأرض في الخدش يقتضي الاستيعاب لكل الأحكام ومنها الفرائض. ويشهد لذلك أيضاً تسميتها بالجامعة.

وقد عدّ بعض الباحثين صحيفة الفرائض كتاباً مستقلاً عندما تعرض لكتب عليّ (عليه السلام)، ومهما يكن فمرادنا إثبات كونهم (عليهم السلام) قد ورثوا علوم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسنّته المدوّنة بخط عليّ (عليه السلام) وباملاء مباشر منه (صلى الله عليه وآله)، سواء كانت قد دوّنت بصحيفة واحدة وكتاب واحد أو بأكثر من ذلك.

الأئمة ((عليهم السلام)) لا يحدثون إلا عن رسول الله ((صلى الله عليه وآله)) :

عقيدتنا في أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم معصومون، وهذه العقيدة مستقاة من الكتاب الكريم والسنة القطعية - كما هو مبحوث في باب - ، وقد أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) باتباعهم والافتداء بهم والتمسك بعروتهم والأخذ عنهم، وجعلهم عدلاً للقرآن الكريم، فقرنهم به، كما يدل عليه حديث الثقلين المتواتر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال:

«اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»⁽⁷⁰⁾.

وهذا يعني أنّ ما يبينونه للناس من الأحكام والمعارف الدينية هي أحكام الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول (صلى الله عليه وآله) ونزل بها الوحي المبين، سواء أسندوا ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم لم يسندوه، وسواء استدلوا عليه بآيات من الكتاب الكريم أم لا، وهذا الأمر هو الذي دعانا - نحن الشيعة - لتوسيع دائرة السنة لتشمل قول الأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) وأفعالهم وتقريراتهم فضلاً عن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، رغم أننا نعتقد أنهم (عليهم السلام) لم يأتوا بجديد في الشريعة الإسلامية، وإنما هم

(70) من أشهر من نص على صحة الحديث من أهل السنة: محمد بن جرير الطبري (نقله كنز العمال 380/1)، ومحمد بن اسحاق

(حكاه لسان العرب 5384)، والحافظ ابو عبدالله المحاملي (راجع كنز العمال 140/13)، والحافظ الذهبي (هامش المستدرک

148/3)، والحافظ ابو بكر الهيثمي (مجمع الزوائد 163/9)، والحافظ ابن كثير (البداية والنهاية

228/5)، والحافظ جلال الدين السيوطي (الجامع الصغير / 64)، والعلامة المناوي =

(فيض القدير 15/3)، والمحدث ابن حجر الهيثمي (الصواعق المحرقة / 25، 87)

وغيرهم.

الأمناء عليها، وما يصدر عنهم فهو بيان لشريعة جدتهم (صلى الله عليه وآله). فهذه التوسعة للسنة هي في الحقيقة توسعة للطرق الموصلة إلى سنة الرسول (صلى الله عليه وآله).

والجدير بالملاحظة والاهتمام أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لم يتتلمذوا على أحد من الناس ولم يأخذوا العلم عن أحد منهم، بل أخذوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) علومهم التي كانوا يتوارثونها إمام عن إمام.

ومن راجع سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) ومحل علي بن أبي طالب (عليه السلام) منه، قطع بما لا يقبل الشك أن هذا الرجل كان أشد الناس لصوقاً به، وأكثرهم قرباً منه وأخصهم عنده. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك:

«ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به»⁽⁷¹⁾.

وأخرج ابن سعد عن علي أنه قيل له: مالك أكثر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حديثاً؟ قال: إني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني⁽⁷²⁾.

وروى أبو رافع أن علياً (عليه السلام) كانت له من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساعة من الليل بعد العتمة لم تكن لأحد غيره⁽⁷³⁾.

وروي عن علي (عليه السلام) في هذا المعنى أنه قال: كان لي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مدخلان، مدخل بالليل ومدخل بالنهار، وكنت إذا دخلت عليه وهو يصلي تتحنح لي⁽⁷⁴⁾، (تعبيراً عن الازدحام).

وروي عنه أيضاً قوله: كانت لي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساعة من السحر آتية فيها، فكنت إذا أتيت استأذنت، فإن وجدته يصلي سبّح، فقلت: أدخل؟⁽⁷⁵⁾.

وعن أنس بن مالك قال: ما رأيت أحداً بمنزلة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إن كان يبعث إليه في جوف الليل فيستخلي به حتى يصبح، هكذا عنده إلى أن فارق الدنيا⁽⁷⁶⁾.

(71) الشريف الرضي: نهج البلاغة/ الخطبة 192.

(72) السيوطي: تاريخ الخلفاء/ 170.

(73) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 2/257، والمجلسي: بحار الأنوار 38/303.

(74) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 2/257، والمجلسي: بحار الأنوار 38/304، وأحمد بن حنبل في مسنده 80/1 وقريب منه 107/1.

(75) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 2/257، والمجلسي: بحار الأنوار 38/304، = والموصلي في مسنده 445/1.

(76) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 2/257، والمجلسي: بحار الأنوار 38/304.

وانه لمن فضول القول أن نتعرض لمكانة علي(صلى الله عليه وآله) من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وما اختص به من المنزلة عنده، ولا شك أن هذه العلاقة لم تكن محض علاقة عاطفية، وهذا القرب لم يكن قرباً قلبياً فحسب، بل كان(صلى الله عليه وآله) يدينه ليلقي إليه ما عنده من علوم ومعارف وأحكام وأخلاق، فقد وجد فيه ضالته، ولمس منه ما لم يلمس من غيره مما جعله يختاره ليكون وعاءاً لما جاء به الوحي ومستودعاً لما عنده من أسرار.

وهكذا كان أئمة أهل البيت(عليهم السلام) الذين ورثوا ما ورثه علي بن أبي طالب(عليه السلام) فكان كل واحد منهم عيبة علم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وموضع سره، لم يكن بينهم وبينه واسطة إلا منهم. فهم ينهلون من معين الوحي الصافي، بالاضافة إلى ما آتاهم الله سبحانه وتعالى من صفاء الروح وطهارة النفس، مما جعلهم يحلقون في عالم العرفان والملكوت والإلهام الذي به صاروا حجة الله على العالمين، وأئمة الهدى والعروة الوثقى.

ولقد كان الشيعة في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ابان اشتداد المحنة على أئمتهم عندما يشتبه على بعضهم أمر النص بسبب الكتمان والتقية يلجأون إلى تمييز الامام والتعرف عليه من خلال العلوم التي يحملونها، كما حصل بعد وفاة الامام الصادق(عليه السلام)، حيث اجتمع بعض الناس على عبدالله بن جعفر وتوهموا أنه صاحب الأمر بعد أبيه، لكن سرعان ما اكتشفوا خواءه وجهله في كثير من الأمور، وذلك من خلال الأسئلة التي كانت توجه إليه والمسائل التي تطرح عليه.

وقصة هشام بن سالم مع مؤمن الطاق محمد بن النعمان خير شاهد على ذلك⁽⁷⁷⁾. ولقد كان صغيرهم فقيهاً عالماً ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، وكم مرة حاول حكام بني العباس أن يعجزوهم فأعدوا المجالس لهم وحشدوا لها أبرز فقهاءهم وقضاتهم، فخاب سعيهم وضاعت أحلامهم أمام خزّان علم النبوة وحملة أسرار الوحي الرسالي. فهذا جواد أهل البيت محمد بن علي(عليه السلام) وهو ابن سبع سنين يناظر يحيى بن أكثم في مجلس المأمون فيحيّره ويعجزه حتى بان في وجهه الانقطاع والتلجلج والفشل⁽⁷⁸⁾.

انهم أهل بيت زقوا العلم زقا، ولقد غاب عن كثير ممن جهلهم، ولم يتشرف بمعرفتهم، ولم يرزق ولايتهم، غاب عنهم أن هؤلاء ورثة الرسول(صلى الله عليه وآله)، وأنهم أهل بيت لا يتلقون علومهم بالطرق التي يعرفها الناس، والتي اعتادوا عليها. أردنا من كل هذا أن نبين أن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) باعتبار عصمتهم وباعتبار علومهم ومعارفهم التي لا تنضب، قول كل واحد منهم بنفسه حجة وسنة، ولا يحتاج إلى اسناد

(77) المفيد: الارشاد 221/2 - 223.

(78) المفيد: الارشاد 283/2.

يسلسله لنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لكنهم مع ذلك صرحوا في أكثر من موقع وفي أكثر من حادثة، أنهم لا يفتون الناس بأرائهم، وإنما هو علم يتوارثونه كابراً عن كابر. ففي الرواية عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال: يا جابر إنا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكننا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم⁽⁷⁹⁾.

وأصرح من ذلك ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه كان يقول: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث علي ابن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديث رسول الله قول الله عز وجل»⁽⁸⁰⁾.

وقريب من ذلك ما رواه جابر قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إذا حدثتني بحديث فاسنده لي، فقال: «حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن الله عز وجل. وكل ما أحدثك بهذا الاسناد. وقال: يا جابر، لحديث واحد تأخذه عن صادق خير لك من الدنيا وما فيها»⁽⁸¹⁾.

هذا الاسناد هو الذي قال عنه أحمد بن حنبل حينما أسند الإمام الرضا (عليه السلام) حديثه به في نيسابور «لو قرأت هذا الاسناد على مجنون لبرئ من جنته»⁽⁸²⁾ وذكر أنه قرأه بالفعل على مصروع فأفاق⁽⁸³⁾.

ولا نجد غيرهم (عليهم السلام) يتجرأ أن يدّعي سعة العلم وشموليته، بينما أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول على منبر الكوفة «سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض»⁽⁸⁴⁾.

ويروى عن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «سلوني عما شئتم، فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به» قال: إنه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرج من عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، فليذهب الناس حيث شأؤوا، فوالله ليس الأمر إلا من ههنا، وأشار بيده إلى بيته⁽⁸⁵⁾.

(79) المجلسي: بحار الأنوار 28/26.

(80) الكليني: الكافي 53/1، والمجلسي: بحار الأنوار 178/2.

(81) المفيد: الأمالي/ 42، والمجلسي: بحار الأنوار 148/2 وفيه: عن جده، بدل: عن جدي.

(82) جعفر مرتضى: الحياة السياسية للإمام الرضا/ 145، ابن حجر: الصواعق المحرقة/ 122 ط الميمنية.

(83) جعفر مرتضى: الحياة السياسية للإمام الرضا/ هامش 145، عن: نزهة المجالس 22/1.

(84) الشريف الرضي: نهج البلاغة/ الخطبة 189.

(85) الكليني: الكافي 399/1.

وروي أن أبا جعفر (عليه السلام) قال لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: شرقاً وغرباً فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت⁽⁸⁶⁾.

وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): فليذهب الحكم يميناً وشمالاً، فوالله لا يؤخذ العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل (عليه السلام)⁽⁸⁷⁾.

لكنهم (عليهم السلام) عاشوا في أقوامهم غرباء، لم تعرف منزلتهم، ولم يرفع حقهم، فعوضاً عن الاقبال عليهم والتماس ما عندهم والاهتداء بهم تراههم يستبّون على المنابر ويقصون عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ويسامون أنواع القتل والتنكيل والسجن والتعذيب، هكذا كان دأب حكام الجور معهم ومع أتباعهم وأشياعهم.

ومن أبرز الشواهد التي نقلها التاريخ والتي تدل على أن علومهم (عليهم السلام) لدنيّة غير مستقاة من أحد من الناس، ما حصل مع الامام الهادي علي ابن محمد (عليه السلام)، بعد وفاة أبيه الجواد وكان يومئذ صبياً لم يتجاوز سبع سنين من العمر، فأمر المتوكل العباسي أن يختار له معلماً من أهل المدينة معروفاً بالعلم والأدب، منحرفاً عن أهل البيت (عليهم السلام)، معادياً لهم، فأشاروا عليه برجل يعرف (بالجندي) كان ظاهر النصب والعداوة لهم (عليهم السلام)، مقدماً عند أهل المدينة في الأدب والفهم، فأوكل إليه أمر تأديبه وتعليمه، ومنع الرافضة من الدخول عليه.

فكان الجندي يلزم أبا الحسن الهادي (عليه السلام) في القصر نهاراً، ويغلق الباب ليلاً ويأخذ المفاتيح، ومكث مدة على ذلك، حتى سئل عنه فقال: والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من براؤ الله وانه حافظ القرآن من أوله إلى آخره، يعلم تأويله وتنزيله، واني والله لأذكر له الحرف في الأدب وأظن أني بالغت فيه، ثم انه يملي عليّ فيه أبواباً أستفيد منه، فيظن الناس أني أعلمه وأنا والله أعلم منه.

ثم قال: هذا صبي صغير، نشأ بالمدينة بين الجدران السود، فمن أين علم هذا العلم الكثير؟! يا سبحان الله ما أعجب هذا؟!⁽⁸⁸⁾..

نعم هكذا كان أهل البيت (عليهم السلام)، وهكذا عاشوا تحت ظل الارهاب والجور الذي طالما مارسه السلاطين ضدهم، محاولين عزلهم، وابعاد الناس عنهم، وتشويه صورهم، وتحت ظل ذلك الارهاب، واستجابة لرغبات سلاطين الجور أعرض الناس عنهم وولوا وجوههم

(86) الكليني: الكافي 399/1.

(87) الكليني: الكافي 400/1.

(88) القرشي: حياة الامام علي الهادي/ 24 - 25 نقله عن مآثر الكبراء في تاريخ سامراء 95/3 - 96 . ومحمد كاظم القزويني: الامام الهادي من المهد إلى اللحد/ 377 - 378 نقله عن شرح قصيدة أبي فراس/ 35.

شطر أهل القياس وعلماء البلاط، وطال الزمن واستمر هذا الحال لقرون متتالية حتى
محيت من ذاكرة الأمة آثارهم، ومن مدونات أهل الحديث علومهم وأخبارهم.
وان تعجب فتعجب ممن جاء بعد الإمام الصادق (عليه السلام) أو قارب عصره، ودونوا
المجاميع الحديثية التي وصفوها بالصحيح والمسانيد، ولم يرووا له إلا النزر اليسير، وهو
الذي أحصى الرواة عنه من الثقات فكانوا ما يقرب من أربعة آلاف⁽⁸⁹⁾، بينما تجدهم يروون
عن الخوارج والمرجئة وامثالهم.

* * *

(89) انظر: أسد حيدر: الامام الصادق والمذاهب الأربعة 67/1 وما بعدها.

الكتب والصحائف الأخرى

علمنا مما تقدم أنّ كتاب علي(عليه السلام) الكبير والمهم هو الذي كان يشكل مصدراً مهماً من مصادر السنة يحتوي كل حلال وحرام، وقد اطلق عليه في أخبارهم إسم الصحيفة والجامعة أو الصحيفة الجامعة، وتقدم الوجه في هذه التسمية، وقد أطبقت النصوص على أن طول هذه الصحيفة سبعون ذراعاً، وأن عرضها في عرض الأديم، وهذا يعني أنه ربما بلغ ذراعين. ووصفت بأنها مثل فخذ البعير الضخم (الفالج) وأنها بحجم فخذ الرجل مطوياً، وكل ذلك يدلّ على ضخامة حجم الكتاب. وهناك كتب وصحائف أخرى ورد ذكرها في النصوص والآثار نتعرض لها، ونقارنها بما تقدم.

1 - صحيفة علي(عليه السلام)

هذه الصحيفة قد يطلق عليها أيضاً صحيفة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وكانت معلقة في ذؤابة السيف أو قرابه، وقد انتقلت من الرسول(صلى الله عليه وآله) إلى علي(عليه السلام) مع السيف فيما انتقل من السلاح والكتب التي ورثها(عليه السلام) وأورثها الأئمة من أبنائه. وقد ذكرت هذه الصحيفة في روايات الفريقين وكتبهم، بخلاف كتاب علي(عليه السلام) المتقدم الذي اختصت بنقله كتب الشيعة ورواياتهم. فقد ذكرها البخاري في عدة مواضع من جامعه، ومسلم وأحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي⁽⁹⁰⁾، وتحدث عنها أغلب محدثيهم وحفاظهم. لكنهم ذكروا لها مضمونا محدداً يظهر منه مغايرتها لكتاب علي(عليه السلام) (الجامعة). وقد تعرضت لها عدة نصوص من طرقنا أيضاً:

فعن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: وجد في ذؤابة سيف رسول الله(صلى الله عليه وآله) صحيفة فإذا فيها مكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم، ان أعتى الناس على الله يوم القيامة من قتل غير قاتله، ومن ضرب غير ضاربه، ومن تولى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله

(90) راجع صحيح البخاري 36/1، 221/2، 67/4، 69، 10/8، وصحيح مسلم بشرح النووي 142/9، 150/10، 142/13، ومسنّد أحمد 79/1، 81، 100، 102، 110، 118، 119، 126، 151، 152، سنن النسائي 24/8، سنن ابن ماجه 887/2، سنن البيهقي 196/5، 30/8.

تعالى على محمد (صلى الله عليه وآله)، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»⁽⁹¹⁾.

وقريب منه روي عن الصادق عن أبيه (عليهما السلام)⁽⁹²⁾.

وورد مختصراً عن الامام الكاظم (عليه السلام) أيضاً⁽⁹³⁾.

ويظهر من روايات أهل السنة تقارب المضمون ومشابته له، وهو: قال علي (عليه السلام): ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله غير هذه الصحيفة، فخرجها فاذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الابل، وفيها: المدينة حرم ما بين عير الى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل، ومن والى قوماً بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل⁽⁹⁴⁾.

وفي بعض النصوص:

إن ابراهيم حرّم مكة واني أحرّم المدينة، حرام ما بين حريتها وحماها كله لا يختلي خلاها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشار بها، ولا تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بغيره، ولا يحمل فيها السلاح لقتال، قال: واذا فيها: المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم ادناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده⁽⁹⁵⁾.

وفي بعضها الآخر:

مكتوب فيها: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً⁽⁹⁶⁾.

وفي بعضها: أن فيها فرائض الصدقة أو الصدقات⁽⁹⁷⁾.

(91) المجلسي: بحار الأنوار 65/27 و125/77 و375/104، والصدوق: معاني الأخبار / 379.

(92) المجلسي: بحار الأنوار 64/27 و120/77 و274/79 و371/104، والحميري: قرب الاسناد / 103.

(93) المجلسي: بحار الأنوار 64/27 و199/77 و275/79 و372/104، والحميري: قرب الاسناد / 258.

(94) صحيح البخاري 221/2 و67/4 و69، و10/8، وصحيح مسلم بشرح النووي 142/9، و150/10، ومسند أحمد بن حنبل

81/1، 126، 151، وسنن الترمذي 381/4.

(95) مسند أحمد بن حنبل 119/1، وفي سنن النسائي 24/8 المقطع الأخير فقط.

(96) مسند أحمد بن حنبل 118/1، وصحيح مسلم بشرح النووي 142/13.

(97) مسند أحمد بن حنبل 100/1، 102، 110.

وفي بعضها: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر⁽⁹⁸⁾.

وفي بعضها: فيها الديات عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن لا يقتل مسلم بكافر⁽⁹⁹⁾.
فالظاهر أن هذه الصحيفة هي عينها ما رويت فيما تقدم عن أهل بيت العصمة لتشابه المضمون وكونها صحيفة في ذؤابة السيف، ولا يضر اختلاف ما حكى عن محتواها في الحكم باتحادها لأن كل راو نقل جانباً مما سمع، فلا تعارض بينها.

التعارض بين روايات صحيفة علي ((عليه السلام)) وكتابه:

قلنا أنه لم يرد ذكر لكتاب علي (عليه السلام) (الجامعة) في كتب الحديث عند أهل السنة، بل في هذه النصوص التي نقلنا شطراً منها تصريح بعدم وجود شيء آخر عنده (عليه السلام) خصه به رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير هذه الصحيفة.

فقد عبرت بأنه: ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله غير هذه الصحيفة.

أو: ما كتبنا عن النبي (صلى الله عليه وآله) إلا القرآن وما في هذه الصحيفة.

أو: من زعم أن عندنا شيء نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة... فقد كذب.

أو: ما خصنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشيء لم يخص به الناس إلا بشيء في قراب سيفي هذا.

أو: ما عهد إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئاً خاصة دون الناس إلا شيء سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي.

وأمثال هذه العبارات التي تؤدي معنى واحداً مشتركاً وهو نفي ما عدا هذه الصحيفة الصغيرة، هذا الأمر يشكل معارضاً للروايات السابقة التي اختص بنقلها الشيعة، وبالتالي فهي تحتاج إلى علاج. وقد استفاد من هذه النقطة هواة الطعن والتشنيع على الشيعة وكال لهم التهم والشتائم.

قال النووي: هذا تصريح من علي (عليه السلام) بابطال ما تزعمه الرافضة والشيعة ويخترعونه من قولهم ان علياً (رضي الله عنه) أوصى إليه النبي (صلى الله عليه وآله) بأمر كثيرة من أسرار العلم وقواعد الدين وكنوز الشريعة وأنه خصّ أهل البيت بما لم يطلع عليه غيرهم..

قال: وهذه دعاوى باطلة واختراعات فاسدة لا أصل لها ويكفي في ابطالها قول علي (رضي الله عنه) هذا⁽¹⁰⁰⁾.

(98) مسند أحمد بن حنبل 79/1، وسنن النسائي 23/8، وصحيح البخاري 36/1.

(99) سنن ابن ماجه 887/2 .

(100) صحيح مسلم بشرح النووي 143/9.

وعلى هذا الوتر عزف شراح البخاري⁽¹⁰¹⁾، وعلى منوالهم نسج ابن كثير⁽¹⁰²⁾ وغيره. وقد حاول البعض حل التعارض مدعياً أن الصحيفة الجامعة التي هي كتاب علي(عليه السلام) هي نفسها هذه الصحيفة إلا أن الرواة لم يحفظوا ولم يرووا إلا النزر اليسير، أو تعمدوا ذلك لأجل التزهيد بها.

لكننا نحن لا نرضى بهذه الدعوى، ونصرّ على أن كتاب علي(عليه السلام) غير هذه الصحيفة، فكيف يمكن الاتحاد، وكتاب علي(عليه السلام) صحيفة طولها سبعون ذراعاً بعرض الاديوم، إذا لقت صارت مثل فخذ البعير أو فخذ الرجل مطوياً، بينما هذه الصحيفة يظهر أنها صغيرة جداً معلقة في ذؤابة السيف حتى كأنها بعض حمائله. فنحن لا نحتمل الاتحاد مطلقاً.

لكننا نقول ان هذه الروايات لا تقاوم التواتر الحاصل من طرقنا على اختصاصهم(عليهم السلام) بودائع النبوة التي من جملتها كتاب علي(عليه السلام) ويكفي ما أوردناه من النصوص وما أشرنا إليه مما هو يملأ كتب الحديث عندنا ويرويه الكثير من أصحاب الأئمة(عليهم السلام). فإننا وان قبلنا ما ذكرته روايات أهل السنة حول الصحيفة المعلقة بذؤابة سيف علي(عليه السلام) إلا أننا لا نقبل مطلقاً ما تصدرت به من نفي ما عداها.

ومن جهة أخرى تدل رواياتهم على أن حديثاً كان يدور حول وجود شيء من العلوم النبوية اختص بها(عليه السلام) دونهم وهو الأمر الذي دعاهم للسؤال كما في بعضها. المهم أن ما يدعيه الشيعة حول كتاب علي(عليه السلام) هو حقيقة ثابتة بالتواتر وليس أمراً مخترعاً كما يزعم النووي، ومجرد نقل البخاري ومسلم لرواية لا يبرّر هذا الهجوم، حتى لو صحت الرواية فإن التعارض قد يسقط الرواية الصحيحة عن الحجية إذا ما كانت مرجوحة ويوجب طرحها جانباً.

أضف إليه أن الجوامع الحديثية التي ادعوا صحتها قد حوت الكثير مما هو غير صحيح، وغير مقبول وقلنا أنهم رَوَوْا عن الخوارج والمرجئة وأهل المذاهب الفاسدة، فكيف يدعي صحة كل ما فيها، وأما تركهم لنقل الكثير مما هو صحيح بالفعل فهو من المسلمات عندهم، والاعراض كان لأغراض لا تخفى على منصف.

واكثر من هذا يمكن أن يقال أن لحن هذه الروايات يتفق مع الاتجاه الذي كان لا يحب أن ينتشر لأهل البيت(عليهم السلام) فضيلة، وكان يسعى بكل ما أوتي من امكانات لابعادهم عن الساحة السياسية والخط من مكانتهم واسقاطهم عند الناس. يتفق مع الاتجاه الذي جعل سبّ

(101) راجع: ابن حجر: فتح الباري 1/204، والعيني: عمدة القاري 2/161.

(102) ابن كثير: البداية والنهاية 5/252.

عليّ (عليه السلام) سنة تعبد بها الناس والتزم بها الخطباء وأهل المنابر أربعين سنة حتى شبّ عليه الصغير وشاب عليه الكبير.

بل ان الأيمان المغلظة التي تصدرت تلك الروايات تدعو بنفسها للريبة والشك ويفوح منها رائحة الوضع، وقديماً قيل: كاد المريب أن يقول خذوني.

فنحن نعرض عنها صفحاً لمخالفتها للكتاب الكريم والسنة القطعية ونتمسك بما وافقهما، عملاً بقول الرسول (صلى الله عليه وآله): «إذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»⁽¹⁰³⁾.

نعرض عنها لنتمسك بما هو ثابت الصحة موافق للكتاب والسنة. فنأخذ بالموافق لكتاب الله حيث يقول:

«وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم...»⁽¹⁰⁴⁾. وقد روي أن الراسخين في العلم هم الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته⁽¹⁰⁵⁾.

ونأخذ بما يوافق السنة النبوية القطعية التي روت لنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب»⁽¹⁰⁶⁾.

«اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي...»⁽¹⁰⁷⁾.

«مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»⁽¹⁰⁸⁾.

وكيف يكون من الراسخين في العلم، والعالمين بتأويل الكتاب وتنزيله، وكيف يكون التمسك بهم عاصماً من الضلال، وكيف يكون باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسفينة النجاة من ليس عنده من العلم إلا ما في أيدي الناس. وكيف يأمر باتباعهم والتمسك بهم ولا يعطيهم ما يحتاج إليه الناس كل الناس.

أخرج ابن أبي الحديد عن أبي جعفر النقيب: قد صحت الرواية عندنا عن اسلافنا وعن غيرهم من أرباب الحديث أن علياً (عليه السلام) لما قبض أتى ابنه أخويه حسناً وحسيناً (عليهما السلام) فقال لهما أعطيانى ميراثي من أبي، فقالا له: قد علمت أن أباك لم يترك صفراء ولا بيضاء، فقال: قد علمت ذلك، وليس ميراث المال أطلب، وانما أطلب ميراث العلم.

(103) المجلسي: بحار الأنوار 2/225، 80/50. وفي معناه روايات كثيرة.

(104) سورة آل عمران/ 7.

(105) الكليني: الكافي 1/213.

(106) مرّ تخريج الحديث.

(107) مرّ تخريج الحديث.

(108) راجع مصادر الحديث في خلاصة عيقات الأنوار للسيد الميلاني/ الجزء الرابع.

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى: فروى أبان بن عثمان، عمن يرويه له ذلك عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: فدفعنا إليه صحيفة لو أطلعاه على أكثر منها لهلك، فيها ذكر دولة بني العباس (109).

هذه الصحيفة هي التي وصلت إلى بني العباس عن طريق أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، وكانوا يسمونها صحيفة الدولة ولها قصة نقلها ابن أبي الحديد. وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه قال: كنا نتحدث - معاشر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) - أن النبي (صلى الله عليه وآله) عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم يعهد لها إلى غيره (110). وفي رواية ثمانين عهداً (111).

أفنترك كل هذا لأجل رواية روجها أعداؤهم وحسادهم؟! نحن لا ندعي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتم شيئاً من الرسالة، وإنما هو ثقل تلك العلوم والصدور التي تعي وتتحمّل، إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول:

«إن ههنا لعلماً جماً (ويشير بيده إلى صدره)، لو أصبت له حملة» (112).

فكيف برسول الله (صلى الله عليه وآله)!! الذي هو أفضل من علي (عليه السلام)، ومصدر علمه. روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«لو أجد ثلاثة رهط استودعهم العلم وهم أهل لذلك لحدّثت بما لا يحتاج فيه إلى نظر في حلال ولا حرام، وما يكون إلى يوم القيامة..» (113).

فليس من آداب البحث ولا من دأب العلماء أن يحكموا على غيرهم بمثل هذه الأحكام الجائرة التي صدرت عن النووي وابن كثير وأمثالهما، وكيف يصح الحكم على الشيعة باختراع الأحاديث لمجرد أنها غير موجودة في كتبهم، أو كونها لا تتوافق مع أهوائهم. وما ذنب الشيعة إذا حرصوا على الولاء لمدرسة أهل البيت عندما ابتعد الناس عنهم، واخذوا عنهم حينما أعرض الآخرون، وحفظوا فضائلهم التي حاول طمسها ومحوها أعداؤهم.

قال معاوية لابن عباس: إنا كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب علي (عليه السلام)، فكف لسانك. قال: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟! قال: لا، قال: أفتنهانا عن تأويله؟! قال: نعم. قال:

(109) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 149/7.

(110) الطبراني: المعجم الصغير / 69 .

(111) القندوزي: ينباع المودة/ 89 .

(112) الشريف الرضي: نهج البلاغة/ قصار الحكم 147.

(113) الصفار: بصائر الدرجات/ 478.

أفقرأه ولا نسأل؟! قال: سل عن غير أهل بيتك! قال: انه منزل علينا، أفنسأل غيرنا؟ أنتهانا أن نعبد الله؟! فاذأ تهلك تلك الأمة. قال: اقرؤوا ولا ترووا ما أنزل الله فيكم⁽¹¹⁴⁾..
فما يدريك أن أصحابك الذين تعتمد عليهم، ولا تتعدى كتبهم ومجاميعهم، قد أهملوا تلك الأحاديث والروايات خوفاً أو طمعاً. أو لعلمهم لم يجدوها عند أصحابهم لأنها ضاعت فيما ضاع من فضائلهم(عليهم السلام) تحت وطأة التهديد والوعيد لمن يجريها على لسانه.

2 - صحيفة الناموس:

من الصحف الأخرى التي ورد ذكرها في بعض النصوص وأنها من مختصات الامامة، صحيفة فيها أسماء الشيعة وتدعى «الناموس».

فعن الرضا علي بن موسى(عليه السلام) في حديث عن علامات الامام، قال : .. وتكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعتهم إلى يوم القيامة، وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة⁽¹¹⁵⁾.

وعن داود الرقي قال: قلت لأبي الحسن الماضي(عليه السلام): إسمي عندكم في السبط التي فيها أسماء شيعتكم؟ فقال: إي والله في الناموس⁽¹¹⁶⁾.

وعن حذيفة بن اسيد الغفاري قال: دخلت على علي بن الحسين بن علي(عليهم السلام) فرأيتة يحمل شيئاً، فقلت ما هذا؟ قال: هذا ديوان شيعتنا⁽¹¹⁷⁾..

وعن حبابة الوالبية قالت: قلت لأبي عبد الله(عليه السلام): إن لي ابن أخ وهو يعرف فضلكم وإني أحب أن تعلمني أمن شيعتكم؟ قال: وما اسمه؟ قالت: قلت: فلان بن فلان، قالت: فقال: يا فلانة هات الناموس، فجاءت بصحيفة تحملها كبيرة فنشرها ثم نظر فيها، فقال: نعم هو ذا اسمه واسم أبيه ههنا⁽¹¹⁸⁾.

وقريب من ذلك عدة روايات أخرى تدل على تلك الصحيفة⁽¹¹⁹⁾.
وقد ذكرت أيضاً صحيفة لأسماء أعدائهم، فيحتمل أن تكون هذه الصحيفة حاوية لأسماء الشيعة والأعداء، ويحتمل كونها صحيفة أخرى غيرها. ومهما يكن فلا بد أن تكون الصحيفة هذه كبيرة تسع العدد الهائل من الأسماء، إلا أن يقال بأن المذكور خصوص الخُص من

(114) المجلسي: بحار الأنوار 38/42.

(115) المجلسي: بحار الأنوار 117/25.

(116) المجلسي: بحار الأنوار 123/26.

(117) المجلسي: بحار الأنوار 122/26.

(118) المجلسي: بحار الأنوار 121/26.

(119) المجلسي: بحار الأنوار 121/26 - 127.

الشيعة والمتحمضون بالعداء وعلى أي حال فهو غير محال. ولعل الصحيفة الآتية هي صحيفة الأعداء بالخصوص.

3 - صحيفة تدعى العبيطة:

هذه الصحيفة ورد ذكرها في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال: .. وأيم الله إن عندي لصحف كثيرة، قطائع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته، وإن فيها لصحيفة يقال لها العبيطة، وما ورد على العرب أشد منها، وإن فيها لستين قبيلة من العرب بهرجة، ما لها في دين الله من نصيب⁽¹²⁰⁾.

4 - صحيفة أخرى في ذؤابة السيف:

فقد وردت نصوص تتحدث عن صحيفة وجدت في ذؤابة سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أنها بمضمون مغاير تماماً للصحيفة المتقدمة سابقاً. روي عن أبان بن تغلب وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام): أنه كان في ذؤابة سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) صحيفة صغيرة فيها الأحرف التي يفتح كل حرف منها ألف حرف.

قال أبو بصير: قال أبو عبد الله (عليه السلام): فما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة⁽¹²¹⁾. فالذي يبدو أنها كتبت بالرموز، أو بما يسمى بعلم الحروف، ولولا قوله (عليه السلام): فما خرج منها إلا حرفان، لأمكن القول بأن المراد من الأحرف كبريات المسائل وکلياتها التي تتفرع عليها الأحكام. والتعبير عن المسألة الكلية بالحرف وارد في كلامهم كما في النص الوارد عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): قال: ذكر عليّ (عليه السلام) أنه وجد في قائمة سيف من سيوف رسول الله صحيفة فيها ثلاثة أحرف: صل من قطعك، وقل الحق ولو على نفسك، وأحسن إلى من أساء إليك.. الخبر⁽¹²²⁾.

وكون هذه الصحيفة في ذؤابة سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يوجب القطع بالاتحاد مع الصحيفة السابقة لأننا لا نستبعد أن يكون في ذؤابة السيف صحيفتان، كما أنه من الممكن تعدد

(120) المجلسي: بحار الأنوار 37/26، والبحر: الباطل الرديء.

(121) المجلسي: بحار الأنوار 56/26، و133، 151/40، والصدوق: الخصال 649/2، والمفيد: الاختصاص/ 284.

(122) الصدوق: الأمالي/ 67، والمجلسي: بحار الأنوار 157/74.

السيف. ويدلّ على التعدد ما رواه البيهقي عن عائشة أنها قالت: وجد في قائم سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتابان.. (123).

وأما تعدد السيف فيدل عليه ما ورد عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في الرواية السابقة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان له سيفان يقال لأحدهما ذو الفقار وللآخر العون، وكان له سيفان آخران يقال لأحدهما المخدوم وللآخر الرسوم (124).

ولعل هذه الصحيفة هي نفسها التي عرضها أمير المؤمنين (عليه السلام) على أولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ولم يستطع محمد أن يستخرج منها شيئاً (125)، مما يؤيد أنها كانت قد كتبت بالرموز والاشارات. وهو غير بعيد.

5 - صحيفة الفرائض:

مرّ ذكرها في بعض الروايات عن زرارة ومحمد بن مسلم وأنها رأياها عند الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) وأنها قرأ فيها بعض أحكام الإرث. وقد عدّها بعض المحققين صحيفة مستقلة غير الجامعة (كتاب علي (عليه السلام)). وقد تقدم أنا استقربنا كونها جزءاً من كتاب علي (عليه السلام) الموسوم بالصحيفة الجامعة، ويؤيده عدد من الأخبار حيث جعلت الفرائض من جملة محتوياته.

6 - كتاب الجفر:

ورد في رواية سدير الصيرفي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال: إني نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة الذي خص الله تقدس اسمه به محمداً والأئمة من بعده عليه وعليهم السلام (126).

وهذه الرواية وإن لم تصرح بنسبة الكتاب إلى علي (عليه السلام) إلا أنه يظهر منها أنه من جملة ودائع النبوة وميراث الإمامة.

(123) البيهقي: السنن الكبرى 30/8.

(124) الصدوق: الأمالي/ 67 ، والمجلسي: بحار الأنوار 157/74.

(125) المجلسي: بحار الأنوار 56/26 ، والصفار: بصائر الدرجات/ 307.

(126) المجلسي: بحار الأنوار 51 / 220.

واسم الجفر في الكثير من الروايات أطلق على وعاء كالجراب فيه الكتب التي يتوارثها الأئمة (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام)، فاطلاقه على هذا الكتاب إما على أساس الاشتراك اللفظي أو تسامحاً وسنعد فصلاً مستقلاً للبحث في الجفر ان شاء الله.

إخفاء الكتب عند الخوف:

لقد حرص أئمة أهل البيت أشد الحرص على حفظ هذا الميراث العظيم، وصانوه بدقة، وأخفوه عن الحكام والسلاطين حفاظاً عليه، ولكي لا يقع بيد أعدائهم الذين يسوءهم أن يختص أهل البيت بهذا التراث العلمي الفريد.

والحقيقة.. ان الانسان ليعجب كيف تمكن الأئمة (عليهم السلام) من ابقائه في حوزتهم رغم الشدائد التي تعرضوا لها والبلاءات التي مرت عليهم، وقد وردت إشارات متفرقة في النصوص تظهر لنا بالجملة كيف كانت تحفظ تلك الودائع عند الهزاهز.

ففي رواية عن أبي الصباح [الكناني] قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): بلغنا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام) أنت أخي وصاحبي وصفيي ووصيي وخالصي من أهل بيتي وخليفتي في أمتي... فقال لي أبو عبدالله: هذا مكتوب عندي في كتاب علي ولكن دفنته [دفعته] أمس حين كان هذا الخوف وهو حين صلب المغيرة⁽¹²⁷⁾.

وعن المعلى بن خنيس عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: ان الكتب كانت عند علي (عليه السلام) فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة⁽¹²⁸⁾.

وعن حمran عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سألته عما يتحدث الناس أنه دُفعت إلى أم سلمة صحيفة مختومة، قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما قبض ورث علي (عليه السلام) سلاحه وما هنالك، ثم صار إلى الحسن والحسين (عليهما السلام) فلما خشيا أن يُفتشا استودعا أم سلمة⁽¹²⁹⁾.

وفي رواية عن أبي عبدالله (عليه السلام) فلما أحسّ الحسين (عليه السلام) أنه يقتل استودعه أم سلمة⁽¹³⁰⁾.

أسباب إخفاء الكتب:

(127) المجلسي: بحار الأنوار 52/26 - 53 ، والصفار: بصائر الدرجات/ 166 - 167.

(128) المجلسي: بحار الأنوار 50/26 ، والصفار: بصائر الدرجات/ 162.

(129) المجلسي: بحار الأنوار 207/26 ، والصفار: بصائر الدرجات/ 177.

(130) المجلسي: بحار الأنوار 209/26 ، والصفار: بصائر الدرجات/ 184.

قد يتساءل البعض: لماذا لم يظهر أمير المؤمنين والأئمة من ولده (عليهم السلام) الكتب والصحائف التي دُوِّنت فيها علوم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ وأي فائدة تعود على الاسلام والمسلمين من خزنها واخفائها عن أعين الناس؟

ولعلّ بعض الأعداء قد اتخذ من هذه النقطة بالذات ذريعة لاثارة جوّ من الشكوك حول وجود مثل هذه الكتب، وحول اختصاص أهل البيت بشيء من العلم غير ما في أيدي الناس. من أجل ذلك عقدنا هذا الفصل لنبحث في الأسباب التي منعتهم (عليهم السلام) من إظهارها ونشرها واضطرتهم للحرص على ابقائها طي الكتمان إلا عن بعض أصحابهم المقربين. ويتضح الأمر من خلال استعراض عدة نقاط:

النقطة الأولى:

ان العلوم التي ورثها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والتي تتضمنها تلك الكتب والصحائف متنوعة، والذي تردّد ذكره في مجمل النصوص المتقدمة التي نقلناها وغيرها مما لم نقله للاختصار ما يلي:

- 1 - الحلال والحرام وما يحتاج إليه الناس من أحكام الشريعة الاسلامية كالفرائض والحدود وامثالها.
- 2 - علم التفسير والتأويل ومناسبات النزول وما يتعلق بالكتاب الكريم.
- 3 - علم الحوادث ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.
- 4 - علم المنايا والرزايا والبلايا، وربما دخل هذا في سابقه.
- 5 - ديوان أسماء الملوك الذين يحكمون والدول، وربما كان هذا أيضاً ضمن الحوادث.
- 6 - ديوان أسماء الشيعة واسماء أعداء أهل البيت (عليهم السلام).
- 7 - الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين كالطوراة والانجيل والزبور وغيرها من الألواح والصحف.

ومن الواضح أن هذه العلوم على قسمين:

الأول: ما لا بد من نشره وتبليغه إن أمكنهم ذلك.

الثاني: ما هو مختص بمنصب الامامة ولا يجب أن يعرفه كل الناس.

وواضح أن القسم الأول من قبيل أحكام الشريعة التي يحتاجها الناس ويقع الابتلاء بها، وبعض ما يتعلق بالقرآن الكريم من التفسير والتأويل. ولم يقع من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تقصير في إظهار هذا القسم من علومهم، طبعاً عندما كان يسمح لهم بذلك ويجدون الآذان الصاغية ومن يتقبل منهم ويقبل عليهم، إلا أنهم (عليهم السلام) في الكثير من الأحيان وربما في أغلب الأحيان كانوا يعيشون حالة من الحصار والضغط الشديد، الذي يحجب الناس عنهم

ولم يسمح لهم بالتمادي في بيان أحكام الشريعة الإسلامية. ولم يكن يقبل منهم كل ما يبينون ولا يؤخذ بما يفتنون.

ولا يجب أن يكون ذلك باظهار نفس الكتب وأعيانها فان ما بأيدينا من النصوص والروايات التي نقلها أصحاب الأئمة وشيعة أهل البيت (عليهم السلام) - إن صحت - فهي من تلك الفيوضات وبعض ما في تلك الكتب.

وأما القسم الثاني فقد ظهر منه أشياء متفرقة حدثوا بها بين الحين والآخر، لاظهار فضلهم ومنزلتهم وإقامة الحجة على الناس، وذلك من قبيل الاخبار بما يكون وبما في الكتب والصحف الأولى عند الاحتجاج على أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأمثال ذلك.

النقطة الثانية:

أن العلوم على مستويات، مستوى يناسب عامة الناس كأحكام المسائل التي يبتلون بها، ومستوى آخر لا يناسب إلا العلماء كالعلوم والمعارف الدقيقة والقواعد الكلية التي يستنبط منها الفروع والمسائل، ومثل هذا المستوى لا يتحملة الا الخواص.

ونحن نجد أن سيرة العلماء في كل الأزمان أن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم، ويوصي علماء الفلسفة بصون مسائلها عن عوام الناس لدقتها وامتناعها عن الأذهان والعقول التي لم تتعود العلوم الدقيقة، ومن المعلوم أن طرح تلك المسائل على العوام يؤدي إلى إيقاعهم في الشبهات المستعصية وربما ساقطتهم إلى الكفر والالحاد، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولا شك أن معارف الدين تتضمن من الأمور الدقيقة والأسرار الإلهية ما يعجز عن ادراكها وتحملها أكثر الناس، ولا يكلف بالخوض فيها إلا أهلها، الذين رزقهم الله وعياً خاصاً وقلوباً يمكنها استيعابها.

ولا شك أن تلك الكتب والصحائف أغلبها لم تملأ على عامة الناس، وإنما أُمليت على أخصهم، وأقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن صنع على عين الله تعالى وربّي في حجر رسوله (صلى الله عليه وآله)، فكان الوعاء القادر على تحمل ثقل الرسالة وأسرارها، فلا بد أن تكون تلك الكتب حاوية لمستويات من المعارف لا يمكن القاؤها على كل أحد، وكانت سيرتهم (عليهم السلام) على إعطاء كل شخص ما يناسبه من علومهم، ليس ضناً بها عن الآخرين وإنما صوناً لها عن غير أهلها.

وهناك شواهد عديدة على ذلك:

1 - ما تقدم في قصة مطالبة محمد بن الحنفية بميراثه من علوم أبيه، فقد روي أن الحسن والحسين (عليهما السلام) دفعا إليه صحيفة لو أطلعاه على أكثر منها لهلك، فيها ذكر دولة بني العباس⁽¹³¹⁾.

2 - قول أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يظهر منه التألم والتحسر لعدم توفر من يتحمل ما في صدره من العلوم ليلقيها إليه، يقول (عليه السلام):

«إن ههنا (ويشير إلى صدره) لعلماً جماً، لو أصبت له حَمَلَةً»⁽¹³²⁾.

3 - ما أشرنا إليه سابقاً مما روي عن الباقر (عليه السلام) أنه كان يقول:

«لو أجد ثلاثة رهط استودعهم العلم وهم أهل لذلك لحدثت بما لا يُحتاج فيه إلى نظر في حلال ولا حرام، وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة..»⁽¹³³⁾.

كل ذلك يدلّ على أن سبب احتفاظهم بذلك الميراث لانفسهم، هو عدم توفر المؤهلات الكافية لتحمل تمام ما فيه من دقيق المعارف.

ولعمري.. كيف لا يكون الأمر كذلك، والناس لم تتحمل منهم المقدار الذي ظهر، فصار سبباً لظلمهم ومحاصرتهم ورصدهم بالعيون وتعريضهم لشتّى البلاءات والمصائب.

النقطة الثالثة:

السيرة التي جرى عليها حكام وسلاطين الجور منذ منع الحديث عن رسول الله، وخاصة ما يرتبط بفضل أهل البيت (عليهم السلام) وإظهار رفيع منزلتهم، هذه السيرة كانت تركز على قاعدة من العداة والحسد لهم (عليهم السلام)، والسعي الحثيث لاسقاطهم بين الناس، وكانت هذه الكتب وما تحويه من العلوم تشكل سنداً ووثيقة تثبت منزلتهم وعلو شأنهم، ولقد كان إظهار أمرها يشكل عنصر إثارة للحكام وداعياً لمصادرتها واتلافها أو اساءة الاستفادة منها، وبالتالي حرمان أهل البيت (عليهم السلام) وكافة المسلمين من هذا الكنز العظيم والأثر الباقي من رسول الله (صلى الله عليه وآله). الأمر الذي جعلهم (عليهم السلام) يحرسون كل الحرص على اخفائها وسترها وبالتالي ضمان سلامتها.

روي عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لولا أن يقع عند غيركم كما وقع غيره لأعطيتكم كتاباً لا تحتاجون إلى أحد حتى يقوم القائم⁽¹³⁴⁾.

(131) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 7/149.

(132) الشريف الرضي: نهج البلاغة/ قصار الحكم 147.

(133) الصفار: بصائر الدرجات/ 478.

(134) الصفار: بصائر الدرجات/ 478.

وقد نقلنا فيما تقدم أنهم(عليهم السلام) كانوا يخفونها عند الخوف وتوقع المداهمة من قبل السلطات الحاكمة، وكانوا يودعونها عند أم سلمة أو فاطمة بنت الحسين ممّن لا تلتفت إليه أنظار الحكام وعيونهم.

وخلاصة القول أن الله سبحانه وتعالى لمّا اختار من أهل بيت نبيه(صلى الله عليه وآله) حججاً على خلقه وولاءاً لأمره، أعطاهم ما يغنيهم عن البشر مما يحتاجون إلى معرفته، وأطلعهم على دقيق معارفه ولطيف حكمته، ولو ثنيت لهم الوسادة، وسلّموا زمام الأمور، وقيادة الأمة، لحكموا بما آتاهم الله سبحانه من العلوم والمعارف، ولكنهم(عليهم السلام) أُزيلوا عن مراتبهم التي ربّهم الله فيها. ولم تعرف منزلتهم، فاضطروا لكتمان الكثير مما عندهم من العلم إذ لم يجدوا بداً من ذلك، لما قدّمناه وفصلناه.

وليس لأحد أن يستدلّ بجهله بالاشياء على عدمها، ولا أن ينكر ما يعجز عن ادراكه وفهمه.

* * *

الجفر

حقيقته ، وما قيل عنه

اقترن ذكر «الجفر» بالحديث عن ودائع النبوة، وقد وقع لعدد من الباحثين خلط في بيان المقصود منه، فمنهم من اعتقد أنه نفس كتاب علي(عليه السلام) الذي تحدّثنا عنه فيما سبق، وقلنا أن فيه الحلال والحرام وأنه صحيفة طولها سبعون ذراعاً باملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخط علي(عليه السلام).

ومنهم من قال أنه كتاب يتضمن علم الحروف، وأنه كتب بشكل مرموز. وزعم جماعة أن الجفر والجامعة عبارة عن العلم الاجمالي بلوح القضاء والقدر. وادعى آخرون أن الجفر كتاب كتبه الامام جعفر الصادق(عليه السلام)لشييعته. إلى ما هنالك من دعاوى وأوهام بعيدة كل البعد عن الواقع لم تصب وجه الصواب. وسنتعرض لجانب من هذه الأقوال التي تكشف عن الجهل والتخبط وعدم الدقة، والاعتماد على خلفية معينة عند البحث بدلاً من التجرد. وفيما يلي نحاول القاء الضوء على «الجفر» كما ورد في الآثار والنصوص الواردة عن الأئمة الأطهار(عليهم السلام).

الجفر في اللغة:

الجفر من أولاد الشاء ما عظم واستكرش. ومن أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر. والجفر الجمل الصغير، والصبي إذا انتفخ لحمه وأكل وصارت له كرش. وجفر جنباه إذا اتسعا، واستجفر صار له بطن وسعة جوف وأقبل على الأكل. والجفير: كنانة النبل، والجعبة التي تجعل فيها السهام. والجفرة في الأصل سعة في الأرض مستديرة⁽¹³⁵⁾.

هل من معنى اصطلاحى؟

أطلق الجفر في الروايات والنصوص على جلد الضأن والمعز وربما جلد الثور أو الجمل، وهذا المعنى يغاير المعنى اللغوي المتقدم، فقد يكون هناك معنى اصطلاحى، ولا

(135) راجع: ابن منظور: لسان العرب 4/142، والجوهري: الصحاح 2/615، والخليل: العين 6/110، وابن دريد: جمهرة اللغة 1/462، وابن الأثير: النهاية 1/277، والطريحي: مجمع البحرين 3/248، والزبيدي: تاج العروس 3/104 - 105.

مانع من إطلاق الجفر على الجلد تجوزاً على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه فيكون المراد جلد الجفر.

وربما كان التجوز بجامع السعة المأخوذ في معنى الجفر عند أهل اللغة حيث أطلقوه على ولد الشاء إذا عظم واستكرش وكذلك الصبي وقالوا: جفر جنباه إذا اتسعا واستجفر إذا صار له بطن وسعة جوف، وأطلقوه أيضاً على البئر الواسعة التي لم تطو، وغير ذلك من الاستعمالات التي يمكن أن تعدّ شواهد على استعمال الجفر في مطلق الواسع، أو الواسع الذي له جوف، وبهذا الاعتبار يصح إطلاقه على جفر أهل البيت (عليهم السلام) الذي يأتي أنه كالجراب وأنه وعاء فيه الكتب والسلاح، بل ربما يدعى عدم التجوز في مثل هذا الإطلاق. ومهما يكن فالمراد منه في الروايات يتضح من خلال البحث الروائي الآتي.

الجفر في حديث أئمة أهل البيت ((عليهم السلام)):

يستفاد من الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، أنهم يتوارثون جفرين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحدهما أطلق عليه اسم الجفر الأبيض والآخر اسم الجفر الأحمر، والأول يحوي كتباً وصحفاً، والثاني يتضمن سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد فسّرتة النصوص بأنه عبارة عن إهابين: إهاب ماعز وإهاب كبش، وفي بعضها أنهما باصوافهما واشعارهما وفي بعضها: ينطبق أحدهما بصاحبه. وما في معنى هذه الأمور.

وفي أحد النصوص أنه جلد ثور مذبوح كالجراب. وعبر عنه أحياناً بأنه وعاء. وأنه أديم عكاظي.

والذي يفهم من المجموع أن الجفر الأحمر جرابٌ صنع من الأديم الأحمر وضع فيه سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله). والنصوص التي لم تفصل بين الجفرين وذكرت أن الجفر جلد شاة، يبدو أنها سكنت عن هذا الجفر (يعني الأحمر) ولم تتحدث عنه.

والذي نستقر به أن الموجود عند الأئمة (عليهم السلام) جراب كبير مصنوع من جلد ثور، وفي داخله جرابان أشبه بالعدل الذي يوضع على الدواب، أحدهما الأبيض وهو مخصص للكتب والعلوم والآخر للسلاح وما يلحق به من الراية وامثال ذلك.

هذه الصورة تجمع بين كل ما ورد من نصوص وآثار. لا يشذ منها إلا ما دلّ على أن الجفر كتابٌ وأنه كتب فيه حتى ملئت أكارعه، مما يقتضي كون الكتابة على نفس الجفر، فيحتمل أن يكون هذا جفراً آخر من ضمن الكتب، ويحتمل أن يكون ذلك باعتبار ما فيه من الكتب، فيقال كتب فيه بمعنى كتب في الكتب التي فيه فنسبت إليه، كما يحتمل أن يكون الجفر

قد كتب فيه على الحقيقة ومع ذلك جعلت فيه بقية الكتب الأخرى لكونه أوسع منها. فيكون الجفر جراب لحفظ الكتب وقد كتب فيه أيضاً.

ومهما يكن فالمحتوى الذي تدل عليه النصوص هو علم الأولين والآخرين أو جميع العلوم وهذه عبارة جامعة شاملة لما عبّر عنه بالكتب الأولى أو كتب الأنبياء أو علم النبيين والوصيين، ولغير ذلك من الكتب ككتاب علي(عليه السلام) الذي عبّر عنه بالحلال والحرام، ومصحف فاطمة الذي قد يعبر عنه أحياناً بعلم ما كان وما يكون وأمثال ذلك.

والظاهر أنه يحتوي على كتب الأنبياء والأوصياء السابقين من جهة والكتب والصحائف التي أملاها رسول الله(صلى الله عليه وآله) على علي(عليه السلام) ومصحف فاطمة المتضمن لعلم ما يكون إلى يوم القيامة. وهذا المجموع المكوّن وضع في الجفر الأبيض. هذا خلاصة ما يستفاد من مجموع النصوص.

وليس في نصوصنا ما يدل على غير ذلك مما يصرّ عليه من كتب عن الجفر من المستشرقين وغيرهم من المؤرخين والباحثين من غير الشيعة.

دعوى لا أصل لها:

1 - قال المحقق الجرجاني: الجفر والجامعة كتابان لعلي(عليه السلام) قد ذكر فيها على طريقة علم الحروف الحوادث إلى انقراض العالم⁽¹³⁶⁾.

وقد عرفنا سابقاً أن الجامعة كتاب لعلي(عليه السلام) فيه الحلال والحرام، وليس الجفر كما ذكر وإنما هو كما تقدم وعاء فيه الكتب، ولا أدري من أين جاؤوا بهذه التعريفات. أما علم الحروف، فانا - كما تقدم - لا نستبعد أن تكون بعض الصحائف قد كتبت بشكل مرموز، لكن ليس هناك دليل على أن الحوادث إلى انقراض العالم دوّنت بذلك الشكل.

2 - وقال ابن خلدون: وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص إلى كتاب الجفر ويزعمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم لا يزيّدون على ذلك ولا يعرفون أصل ذلك ولا مستنده، قال: واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي، وهو رأس الزيدية، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقد وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم عن طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير⁽¹³⁷⁾.

وفي كلام ابن خلدون مواضع عديدة للنقاش:

(136) المحقق الجرجاني: شرح المواقف/.

(137) ابن خلدون: المقدمة/ 334/ الفصل 53.

أولها: قوله: أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم، إن كان مراده من ذلك علم الحوادث الذي عند الأئمة (عليهم السلام) فهو شطط ما بعده شطط، إذ أن الأئمة (عليهم السلام) يعرفون ما يعرفون عن طريق الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو بدوره عن طريق الوحي.

ثانياً: قوله: ان كتاب الجفر كان أصله أن هارون العجلي... الخ، هذه الدعوى لم يعلم لها أصل كما صرح نفسه بعد ذلك حيث قال: وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا علم أصله، ويستبعد جداً أن يكون هارون ابن سعد العجلي قد تلقى شيئاً من تلك العلوم من الامام جعفر الصادق (عليه السلام)، وهو ليس من القائلين بامامته وانما هو من الزيدية ومن رؤوسها كما صرح به هو وغيره. بل لم ينقل عنه أية رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في المجاميع الحديثية الرئيسية للشيعة. ولو سلمنا فهو غير الجفر الذي يتحدث عنه أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

وثالثاً: قوله: وقد وقع ذلك لجعفر ونظائره... عن طريق الكرامة والكشف.. الخ، ونحن وان كنا لا نمنع أن يتحقق لهم (عليهم السلام) شيء من العلم عن طريق الكشف والكرامة التي تقع للأولياء، فانها لهم بطريق أولى كما ذكر ابن خلدون نفسه. إلا أن دعواه أن ما في الجفر حصل عن هذا الطريق فلا اشكال في بطلانه وعلى الأقل هو رجم بالغيب، ومبني على أساس واهي، وهو انكار اختصاصهم (عليهم السلام) بميراث ودائع النبوة التي تعني أنهم أولى بالاتباع وأحق بالامامة وهذا ما يفرّ عن الاعتراف به.

3 - ويقول مصطفى صادق الرافعي: انه لا يُعرف في تاريخ العالم كتاب بلغت عليه الشروح والتفاسير ما بلغ من ذلك على القرآن الكريم، حتى فسرته الروافض بالجفر، على فساد ما يزعمون وسخافة ما يقولون وعلى سوء الدعوى فيما يدعون، من علم باطنه بما وقع إليهم من ذلك الجفر واستنبط منه غيرهم اشارات من الغيب بضروب من الحساب، كهذا الذي ينسبونه إلى الحسن بن علي من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأى في رؤياه ملوك بني أمية، فسأه ذلك فأنزل الله عليه ما يسري عنه من قوله «ليلة القدر خير من ألف شهر» وهي مدة الدولة الأموية، فقد كانت أيامها خالصة ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر مجموعها ألف شهر سواء (138).

ونحن ننقل هنا ما أورده المرحوم السيد محسن الأمين نقضاً عليه، فقال:

أولاً: ان الشيعة لم تفسر القرآن بالجفر وانما فسّرت كما يفسره علماء المسلمين، ولم يدّعوا علم باطنه بما وقع إليهم من ذلك الجفر، بل لم يدّع أحدٌ منهم أنه وقع إليه ذلك الجفر،

(138) مصطفى صادق الرافعي: اعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ 124، 125.

ولا أنه رآه، نعم رويوا أنه كان عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فليأتنا الرافعي برجل واحد من الشيعة قال إن الجفر عنده، أو برجل منهم فسّر القرآن بالجفر إن كان من الصادقين، وهذه تفاسير الشيعة للقرآن الكريم معروفة وأكثرها مطبوعة..

ثانياً: وأما قوله: واستنبط منه غيرهم اشارات من الغيب.. الخ، فهو كسابقه لا حقيقة له والحديث الذي أشار إليه بقوله كهذا الذي ينسبونه إلى الحسن.. الخ، معبراً عنه بعبارة التوهين والاستخفاف هو حديث يرويه الثقات عن النبي (صلى الله عليه وآله) في أن الآية الشريفة نزلت في مدة ملك بني أمية، وليس ذلك مستنبطاً من الجفر، ولا بضروب من الحساب، فهذا الذي ساء الرافعي وعظم عليه: أن تكون الآية نازلة في ملك أسياده بني أمية الأبرار الأتقياء أهل الأعمال المشهورة في الاسلام، فطفق يعبرّ بعبارات الاستخفاف بقوله كهذا الذي ينسبونه.. (139).

3 - وقال حاجي خليفة: علم الجفر والجامعة: وهو عبارة عن العلم الاجمالي بلوح القضاء والقدر، المحتوي على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً، والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل، والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل.

وقد ادعى طائفة أن الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريقة البسط الأعظم في جلد الجفر يستخرج منها بطريقة مخصوصة وشرائط معينة وألفاظ مخصوصة ما في لوح القضاء والقدر، وهذا علم توارثه أهل البيت ومن ينتمي إليهم ويأخذ منهم، من المشايخ الكاملين. وكانوا يكتُمونه عن غيرهم كل الكتمان (140).

وهذا الكلام وإن لم يتضمن توهيناً لأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم، لكنه دعوى بلا دليل، فليس في ما روي عنهم (عليهم السلام) في كتب الشيعة ما يدل على شيء من ذلك، وأهل البيت أعلم بالذي فيه. وأكثر ما يثير العجب أن هؤلاء المصنفين مع اعترافهم بأنهم كانوا يكتُمونه، ينصّبون أنفسهم لبيان تفاصيله وأسراره وكأنهم أعلم الناس به، فليت شعري هل كانوا (عليهم السلام) يكتُمونه عن شيعتهم وأصحابهم ويلقونه إلى أعدائهم والمعرضين عنهم.

لكنّ القضية أن الكثير من هؤلاء لا يخرجون عن كونهم مقلّده، فاذا تقول أحد الكتاب مقولة لا يعرف لها أصل، وأودعها كتابه، هرعوا للتمسك بها ونقلها على أساس أنها من المسلمات دون أن يتعبوا أنفسهم بالرجوع إلى المصادر ومن دون تحقيق ولا تمحيص.

5 - وقال ابن قتيبة:

(139) السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة 96/1 .

(140) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 591/1 .

وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن، وما يدّعون من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره هارون بن سعيد العجلي وكان رأس الزيدية فقال:

ألم تر أن الرافضين تفرّقوا *** فكلهم في جعفر قال منكرا

فطائفة قالوا إمام ومنهم *** صوائف سمته النبي المطهرا

ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم *** برئت إلى الرحمن ممن تجفرا

ثم قال: وهو جلد جفر ادعوا أنه كتب فيه لهم الامام كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة.

ثم أورد آيات عدّة نسب إلى الشيعة تفسيرهم لها بما لا يقول به أحد منهم ولا سمعنا به من أحد غير ابن قتيبة ومن على منواله⁽¹⁴¹⁾.

وفي هذا الكلام قبل كل شيء إبطال لما ادعاه ابن خلدون من نسبة كتاب الجفر إلى هارون بن سعيد العجلي وأنه رواه عن الامام الصادق (عليه السلام)، فما نقله هنا من الشعر يدلّ على أنه يستنكر عليهم القول بامامة جعفر الصادق ويستخف بالجفر ويتبرأ منه. على أنه جعل القائلين بنبوّة جعفر الصادق (عليه السلام) من الرافضين ويعني بهم الشيعة الإمامية، مع أن أولئك - لو سلمنا بوجود أحد يقول بذلك - من الكفار بلا شك.

وأما دعواه بأن الشيعة يدّعون علم باطنه فقد تقدم الردّ عليه عند التعرض لما تبعه عليه مصطفى صادق الرافعي حرفاً بحرف.

وأما قوله أنه كتب فيه لهم الامام كل ما يحتاجون إلى علمه.. الخ فهو تقول على الشيعة، فلم يقل بذلك أحد منهم، وكل ما في الأمر أنهم رَوَوْا وجوده عند الامام الصادق وأنه من مواريث الأئمة التي وصلتهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وابن هذا مما زعم.

ولقد نقل كلام ابن قتيبة هذا عدّة من المؤلفين الذين يدّعون أنه من أهل التحقيق من دون تحقيق، أمثال عبدالسلام هارون⁽¹⁴²⁾ ومصطفى صادق الرافعي⁽¹⁴³⁾ وأصحاب دوائر المعارف وأمثالهم، وسبقهم إلى نقله الدميري⁽¹⁴⁴⁾. وهو يعطي صورة واضحة عن مظلومية أهل البيت وأتباعهم، ومقدار التشويه في نقل صورة معتقداتهم وأقوالهم، مما يدلّ على ضرورة الرجوع إلى مصادر الشيعة أنفسهم للتعرف على آرائهم ونظراتهم.

(141) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث/ 70.

(142) في هامش كتاب الحيوان للجاحظ بتحقيقه 289/6.

(143) الرافعي: اعجاز القرآن/ 124، وقد تقدم تخريجه.

(144) الدميري: حياة الحيوان الكبرى 279/1.

6 - نضيف إلى كل ما تقدم ما حوته دائرة المعارف الإسلامية من أوهام ليس لها أصل يطول سردها، فمن تلك الأوهام أن الغزالي (أبا حامد) كان أميناً على الجفر في زمانه، وأنه انتقل منه إلى ابن تومرت!!، ومنها: التشكيك في صحة استعمال كلمة الجفر بمعنى الرق أو الجلد، وأن الامام الصادق هو مؤلف هذا الكتاب، وغير ذلك مما عودنا عليه المستشرقون الذين يقرؤون من هنا وهناك أموراً متفرقة ثم يربطون بينها بتحليلات ما أنزل الله بها من سلطان، ويدسّون ما يشاؤون بغية تشويه الحقائق⁽¹⁴⁵⁾.

وخلاصة القول: أن المعتمد من النصوص عند الشيعة لا يقتضي إلا ما ذكرناه من كون الجفر جراباً مصنوعاً من الأديم يحتوي كتباً موروثة عن رسوله الله (صلى الله عليه وآله) منها ما هو باملأته وخط علي (عليه السلام) ومنها ما هو واصل إليه من كتب الأنبياء الماضين، إضافة إلى سلاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومصحف السيدة فاطمة الزهراء الذي فيه علم ما يكون إلى يوم القيامة. وكون الجفر نفسه كتاباً أمرٌ محتمل جداً إلا أن ما ذكره هؤلاء من الأوهام لا دليل عليها ولا برهان وهي من نسج خيالاتهم.

ولقد ذكر ابن خلدون أن يعقوب بن إسحاق الكندي منجمّ الرشيد والمأمون، وضع في القرانات الكائنة في الملة كتاباً سماه الشيعة الجفر باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصادق، وذكر فيه - فيما يقال - حدثان دولة بني العباس.. قال: ولم نقف على شيء من خبر هذا الكتاب.

ثم قال: قد وقع بالمغرب جزء منسوب إلى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير⁽¹⁴⁶⁾.. فاذا قارنا بين هذا الكلام والكلام السابق الذي نقلته دائرة المعارف الإسلامية في قصة انتقال الجفر إلى ابن تومرت، وسفر هذا الأخير إلى المغرب، يقوى في النفس أن تلك الأوهام نشأت من الخلط بين كتاب التنجيم هذا وبين الجفر الذي يتحدث عنه أهل البيت (عليهم السلام) لمجرد الاتفاق بالإسم، وشتان بين الثرى والثريا.

كتاب ابن طلحة:

ادعى الشيخ كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الشافعي النصيبي المتوفى سنة (562 هـ) أنه وقع له دائرة وخطوط واسم وحروف كانت قد أوتيت لأحد أصحابه من العباد وكان إذ ذاك مشغولاً في أوراده، ثم رأى في منامه - كما يزعم - أمير المؤمنين (عليه السلام) وسأله عن تلك الدائرة وأمره بالذهاب إلى محمد بن طلحة - المؤلف - ليشرح له تلك الرموز،

(145) دائرة المعارف الإسلامية التي كتبها المستشرقون البريطانيون 46/7 - 49.

(146) ابن خلدون: المقدمة/ 338 في الفصل 53.

وهكذا وصلت الدائرة وما فيها من الحروف والخطوط إليه، فألف في شرح الدائرة واستخراج أسرارها كتاباً أسماه «الجفر الجامع والنور اللامع».

وبعد أن ذكر الملاحم والتواريخ التي ادعى استخراجها من تلك الدائرة على طبق علم الحروف، قال: وقد ذكرت بهذا الكتاب الناطق بالصواب جفر الامام علي بن أبي طالب، وهو ألفٌ وسبعمئة مصدر من مفاتيح العلوم ومصابيح النجوم المعروف عند علماء الحروف عند الصوفية..

ثم قال: الجفر والجامعة وهما كتابان جليان أحدهما ذكره الامام علي على المنبر وهو قائم يخطب بالكوفة على ما سيأتي بيانه، والآخر أسره اليه رسول الله، وهذا العلم المكنون هو المشار إليه بقوله «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وأمره بتدوينه وكتبه الامام علي حروفاً متفرقة على طريقة سفر آدم (عليه السلام) في جفر يعني في رق، وقد جعل من جلد البعير، فاشتهر بين الناس⁽¹⁴⁷⁾..

ولا شك أن هذا الكتاب من وضع وتأليف ابن طلحة كما يعترف هو بذلك، ونسبة الدائرة والرموز إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) غير معلومة لأنها مبنية على رؤيا مزعومة، ولو سلّمت فأى حجة علمية في الرؤى المنامية، إلا أن يدعى أنها من قبيل الوحي - وهي كما ترى - .

ثم إن المؤلف (رحمه الله) يدّعي لنفسه أمراً عظيماً، وأنه استطاع تفسير الدائرة والرموز على قاعدة علم الحروف، لكنه يترقى بعد ذلك فينسب ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فيقول: وقد ذكرت بهذا الكتاب الناطق بالصواب جفر الإمام علي بن أبي طالب، فلم يخبرنا كيف صار إليه ذلك، وهل أنه رآه أيضاً في المنام أو صار إليه بضرب من الإلهام، ومهما يكن فهي كلها دعاوى لا دليل عليها ولا معول.

ومن أين علم (رحمه الله) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد دوّن الجفر على طريقة سفر آدم، وكيف اطلع على سفر آدم وعرف طريقته حتى عرف أن الجفر قد دوّن على طريقته. وكيف يفسر قوله أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أسره الى علي (عليه السلام)، ثم بعد ذلك بقي سراً إلى أن وصل إليه، فهل هو من ورثة أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى خصه بهذا السرّ دون غيره، كلها أمور تثير الرّيب. وتبعث على العجب.

والمؤسف أن بعض المتاجرين بالكتاب من أهل دور النشر المعاصرة، ولأهداف تجارية محضة قام بنشر هذا الكتاب في بيروت بالأفست على طبعته الحجرية القديمة، وادعى انه

(147) ابن طلحة: الجفر الجامع والنور اللامع/ 4 - 5 ، 17 - 18 ومواقع أخرى من الكتاب.

«الجفر» للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). مع أن في هذا الكتاب الكثير الكثير من الأمور التي تدلّ على أنه منسوب زوراً وبهتاناً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ونحن نكتفي بما ذكرناه، وفي ذلك الكفاية.

* * *

مصحف فاطمة ((عليها السلام))

بين الحقيقة والأوهام

لا شك أن أهل البيت (عليهم السلام) هم ورثة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) والامناء عليه، فقد تواتر عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»⁽¹⁴⁸⁾ وهو كالصريح بكونه (عليه السلام) عيبة علمه ومستودع المعارف الإلهية، وقد توارثها منه الأئمة المعصومون المطهرون من ولده. فقد كانوا يتوارثون ما في القرآن الكريم وكتب الأنبياء السابقين، من دقائق المعارف والأحكام الشرعية. ومن جملة التراث العلمي الذي كان يتوارثه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) «مصحف فاطمة» الذي دون فيه علم ما يكون، مما سمعته الزهراء (عليها السلام) من حديث الملائكة بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله)، كما سنرى من خلال النصوص الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة، وقد كانوا (عليهم السلام) يحدثون أصحابهم أحياناً عن تلك العلوم المدونة عندهم في هذا الكتاب ويبينون حقيقته. لقد أثار مصحف فاطمة حفيظة العديد من الكتاب، واتخذوا منه وسيلة للطعن والتشنيع على أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، تارةً باستغلال اسمه - باعتبار أنه يطلق عليه اسم «مصحف» - وجعله باباً لاتهمهم بأنهم لا يعترفون بالقرآن الموجود بين الدفتين والمتداول بين المسلمين قاطبة، فيوقعون الناس في وهم بأن مصحف فاطمة المذكور هو القرآن الذي يعتقده الشيعة، وتارةً أخرى بأن الاعتقاد بمصحف فاطمة يعني الاعتقاد بنزول الوحي بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ويرتبون على ذلك نتائج عديدة، منها: أن الشيعة يعتقدون بنبوّة فاطمة وعلي (عليهما السلام). وفي هذا الباب نتعرض للبحث عن حقيقة مصحف فاطمة (عليها السلام)، ونعالج الشبهات التي تثار حوله، والضجة المفتعلة التي يطلقها هؤلاء الكتاب الذين ينقصهم الاطلاع الكافي والدقة العلمية - إن أحسنّا الظنّ بهم - أو تنقصهم الأمانة والانصاف. **المصحف في اللغة: المصحف** - مثلثة الميم، من أصحف بالضم - أي جعلت فيه الصُحف⁽¹⁴⁹⁾، وسمي المصحف مصحفاً لأنه أصحف أي جُعِلَ جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين⁽¹⁵⁰⁾. وبناءً عليه، فالمصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن الكريم. ويشهد لذلك ما رواه في وجه تسمية المصحف مصحفاً، فقد روى ابن أشتة في كتاب المصاحف أنه لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السِّفر، وقال بعضهم: المصحف فإنّ الحبشة يسمونه المصحف. قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسمّاه المصحف⁽¹⁵¹⁾. ونحن لا نوافق على مضمون هذه الرواية

(148) راجع مصادر الحديث في الهوامش التحقيقية لكتاب المراجعات للسيد شرف الدين/ هامش المراجعة رقم 48 ص 387 من طبعة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام). وكتاب فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ للحسني المغربي.

(149) الفيروز آبادي: القاموس المحيط / مادة صحف.

(150) الخليل: العين 10/3. وابن منظور: لسان العرب/ مادة صحف.

(151) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن 1/ 185، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

لأننا نعتقد أن القرآن جمع في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)⁽¹⁵²⁾، وكلمة المصحف من أصل عربي، فلا معنى للاتيان بها من الحبشة، لكن أوردناها لاقامة الحجة على من يقبلها. فالمصحف كل كتاب أصحف وجمع بين دفتين، لكن كثرة استعماله في القرآن الكريم أوجبت انصراف الأذهان إليه، وهو لا يكفي لحمل ما ورد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) التي تتحدث عن مصحف فاطمة على المصحف المعروف، خاصة مع وجود التقييد باضافته إليها (عليها السلام). ويؤيد ذلك استعمال كلمة المصحف بمعنى الكتاب من قبل المسلمين في القرن الأول فقد قيل في خالد بن معدان: «كان علمه في مصحف له أزرار وعري»⁽¹⁵³⁾.

مصحف فاطمة في أخبار أهل البيت (عليهم السلام): 1 - عن أبي عبيدة عن أبي عبد الله (عليه السلام): «... إن فاطمة مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل (عليه السلام) يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي (عليه السلام) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة (عليها السلام)»⁽¹⁵⁴⁾. 2 - عن أبي حمزة أن أبا عبد الله (عليه السلام) قال: «مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله و إنما هو شيء ألقى إليها بعد موت أبيها صلوات الله عليهما»⁽¹⁵⁵⁾. 3 - عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله (عليه السلام): «.. ومصحف فاطمة أما والله ما أزعم أنه قرآن»⁽¹⁵⁶⁾. 4 - عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن عندي.. ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآنًا»⁽¹⁵⁷⁾. 5 - عن محمد بن عبد الملك عن أبي عبد الله (عليه السلام): «... وعندنا مصحف فاطمة (عليها السلام) أما والله ما هو بالقرآن»⁽¹⁵⁸⁾. 6 - عن علي بن سعيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «... وفيه مصحف فاطمة ما فيه آية من القرآن»⁽¹⁵⁹⁾. 7 - عن علي بن أبي حمزة عن الكاظم (عليه السلام) قال: «عندي مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن»⁽¹⁶⁰⁾. 8 - عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «و إن عندنا لمصحف فاطمة (عليها السلام)، وما

(152) راجع: كتاب حقائق هامة في القرآن الكريم، للسيد جعفر مرتضى العاملي (فصل جمع القرآن) / 90 - 99 .

(153) محمد ابو زهرة: الحديث والمحدثون / 221 عن محمد رشيد رضا في مجلة المنار المجلد 10 / الجزء 10.

(154) الصفار: بصائر الدرجات / 153، ط. المرعشي، والكليني: الكافي 1/ 241، والمجلسي: بحار الأنوار 41/26، والقطب الراوندي: الخرائج والجرائح 526/2 وفيه تخريج الحديث في مصادر عدة.

(155) الصفار: بصائر الدرجات / 159، ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 48/26.

(156) الصفار: بصائر الدرجات / 154، ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 45/26.

(157) الصفار: بصائر الدرجات / 150، ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 37/26.

(158) الصفار: بصائر الدرجات / 151، ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 38/26، 47 / 271.

(159) الصفار: بصائر الدرجات / 156، 160 ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 43/26، 47 / 272.

(160) الصفار: بصائر الدرجات / 154 ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 45/26.

يدريهم ما مصحف فاطمة (عليها السلام)؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة (عليها السلام)؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»⁽¹⁶¹⁾. هذه الروايات وأمثالها تدلّ على أن مصحف فاطمة الذي يعتقد الإمامية أنه عند أئمتهم وضمن ميراثهم العلمي ليس المصحف الذي فيه القرآن الكريم، وأنه كتاب آخر يتضمّن علماً، لكن ما هو ذلك العلم؟ تشير إليه بعض الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) منها: 1 - سئل الصادق (عليه السلام) عن محمد بن عبدالله بن الحسن فقال (عليه السلام): «ما من نبي ولا وصي ولا ملك إلا هو في كتاب عندي - يعني مصحف فاطمة - والله ما لمحمد بن عبدالله فيه اسم»⁽¹⁶²⁾. 2 - روي عن الوليد بن صبيح أنه قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): «يا وليد، إني نظرت في مصحف فاطمة (عليها السلام) فلم أجد لبني فلان فيه إلا كغبار النعل»⁽¹⁶³⁾. 3 - عن فضيل بن سكرة قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقال: «يا فضيل، أتدري في أي شيء كنت أنظر قبيل؟» قال: قلت: لا قال: «كنت أنظر في كتاب فاطمة (عليها السلام)، ليس من ملك يملك [الأرض] إلا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه، وما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً»⁽¹⁶⁴⁾. 4 - عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «.. ولأخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة..»⁽¹⁶⁵⁾. 5 - عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «إن الله تعالى لما قبض نبيّه (صلى الله عليه وآله)، دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجلّ، فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمّها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين (عليه السلام) يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً. قال: ثم قال: أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون»⁽¹⁶⁶⁾. يتبيّن من خلال هذه الروايات أن مصحف فاطمة (عليها السلام) ليس قرآناً، وليس بكتاب أحكام، فهو مغاير لكتاب عليّ (عليه السلام) الذي أملاه عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله). والذي ورد ذكره في أخبارهم (عليهم السلام) إلى جنب مصحف فاطمة، وسمّوه بالجامعة تارة والصحيفة أخرى وكتاب

(161) الكليني: الكافي 239/1، الصفار: بصائر الدرجات/ 152 ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 39/26.

(162) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب 249/3، والمجلسي: بحار الأنوار 32/47، والمراد بمحمد بن عبدالله هو محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى.

(163) الصفار: بصائر الدرجات/ 161، 170 ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 48/26 و 156.

(164) الكليني: الكافي 244/1، وقريب منه جداً نقله الصفار في بصائر الدرجات/ 169 ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 273/47 و 155/26.

(165) الصفار: بصائر الدرجات/ 157 ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 43/26.

(166) الصفار: بصائر الدرجات/ 157 ط. المرعشي، والمجلسي: بحار الأنوار 44/26، والكليني: الكافي 240/1.

علي(عليه السلام) غالباً. وليس هناك أي رواية توهم كونه قرآناً، فضلاً عن كونها ظاهرة في ذلك ليتمسك بها من يفتش عن المطاعن، وعلى فرض وجودها فإن الروايات المستفيضة الواضحة والصريحة والتي قدّمت طائفة منها تقتضي رفع ذلك التوهم أو الظهور لو تمّ وسلّم. فاطمة ((عليها السلام)) محدّثة: قد يتوقف البعض عند قصّة مصحف فاطمة(عليها السلام)، ويرفض مسألة تكليم الملائكة للسيدة الزهراء(عليها السلام) نتيجة توهم التلازم بين النبوة والوحي، أو بين النبوة وتحديث الملائكة. وعليه فإن كون الرسول(صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء والرسول يقتضي عدم نزول الملائكة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ويجعلون هذا دليلاً على عدم صحة قصّة المصحف المذكور، وقد اعتمد على هذا النحو من الاستدلال عبد الله القصيمي في كتابه الموسوم بـ «الصراع بين الاسلام والوثنية» منهُم الشيعة الامامية بأنهم يزعمون لفاطمة وللأئمة من ولدها ما يزعمون للأنبياء والرسول(167). كل ذلك اعتماداً على الملازمة المزعومة بين تكليم الملائكة وبين النبوة. وهذه غفلة ما بعدها غفلة. تعال معي إلى كتاب الله عزّ وجلّ وهو يتحدّث عن كلمتهم الملائكة أو أوحى الله سبحانه وتعالى إليهم: 1 - (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ...) (168). 2 - (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ) (169). 3 - (فَارْسَلْنَاهَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) (170). 4 - (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى... وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ... (171). فهذه نماذج من النساء حدثنا القرآن الكريم عنهنّ ولم يكن نبيّات، ومع ذلك شاهدن الملائكة وحدثنهم، أو أوحى إليهنّ بأسلوب آخر غير تحديث الملائكة، ولم يستنكر ذلك أحد. ففاطمة(عليها السلام) دلّت النصوص على أنها كانت محدّثة ولم تكن نبيّة، وكذلك تقول الشيعة الامامية بالنسبة لأئمة أهل البيت(عليهم السلام) دون أن يدّعي أحد منهم لهم النبوة، إذ لا تلازم بينهما كما تقدم. ثم إن الاعتقاد بنزول الملائكة على فاطمة الزهراء سلام الله عليها لا يعدّ غلوّاً، ولا مبالغة في فضلها، فهي سلام الله عليها سيدة نساء العالمين

(167) الأميني: الغدير 5/ 50 - 51، نقلاً عن الصراع بين الاسلام والوثنية 1/1 و 35/2.

(168) و(3) سورة آل عمران/ 42 و45.

(170) سورة مريم/ 17 - 19.

(171) سورة هود/ 69 - 73.

من الأولين والآخرين، وأفضل من مريم بنت عمران ومن سارة امرأة إبراهيم عليه وعلى نبينا السلام، وقد ثبت بالنصوص القرآنية مشاهدتهما للملائكة وتكليمهما لهما، فأَيُّ غلوٍّ في نسبة مثل ذلك لمن هي أفضل منهما؟ روى البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**»⁽¹⁷²⁾. وروى مسلم عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال لها: «**يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة**»⁽¹⁷³⁾. وهي سلام الله عليها ممن نزلت بهم آية المباهلة والتطهير وضمهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بكسائه. ومن الجدير بالذكر أن الوحي له أساليب وأغراض متعدّدة، ولا تلازم بين الوحي والنبوة، وإن كان كل نبي لابدّ أن يوحى إليه، وكذلك لا تلازم بين الوحي والقرآنية، فبالنسبة للرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن كل ما نزل عليه من الوحي قرآناً، فهناك الأحاديث القدسية وهناك تفسير القرآن وتأويله، والإخبار بالموضوعات الخارجية وأمثال ذلك وكلها ليست قرآناً. فاتضح أن تحديث الملائكة للزهراء سلام الله عليها لم يكن من الوحي النبوي ولا من الوحي القرآني.

المحدثون عند أهل السنة: إذا كان تحدّث الملائكة مع أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً غلوّاً، فلنلق نظرة على كتب الحديث والسيرة والتاريخ عند أهل السنة، لنرى كيف يدّعي تحدّث الملائكة مع جماعة من رجالهم: 1 - أخرج البخاري في مناقب عمر بن الخطاب - وبعد حديث الغار - عن أبي هريرة، وأخرج مسلم في فضائل عمر أيضاً عن عائشة: أن عمر بن الخطاب كان من المحدثين. وقد حاول شراح البخاري أن يأولوه بأن المراد أنه من الملهمين أو من الذين يلقي في روعهم أو يظنون فيصيبون الحق فكأنه حدّث⁽¹⁷⁴⁾.. وهو كما ترى تأويل لا يساعد عليه ظاهر اللفظ. ولأجل ذلك قال القرطبي: إنّه ليس المراد بالمحدثين المصيبين فيما يظنون، لأنه كثير في العلماء، بل وفي العوام من يقوى حدسه فتصحّ إصابته، فترتفع خصوصية الخبر وخصوصية عمر⁽¹⁷⁵⁾. 2 - ممن ادّعي أن الملائكة تحدّثهم عمران بن الحصين الخزاعي المتوفى سنة 52 هـ قالوا: كانت الملائكة تسلّم عليه حتّى اكتوى بالنار فلم يسمعهم عامّاً، ثم أكرمه الله برّد ذلك⁽¹⁷⁶⁾. 3 - ومنهم أبو

(172) صحيح البخاري 209/4 - 219.

(173) صحيح مسلم بشرح النووي 7 - 6/16.

(174) صحيح البخاري 200/4، وصحيح مسلم بشرح النووي 166/15، وسنن الترمذي 581/5 وراجع: ارشاد الساري شرح

صحيح البخاري 99/6 و431/5.

(175) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن.

(176) ابن سعد: الطبقات الكبرى 11/7 و288/4 - 289، ومعجم الطبراني الكبير =

107/18، ح/ 203.

المعالي الصالح المتوفى سنة 427هـ ، روى أنه كلمته الملائكة في صورة طائر⁽¹⁷⁷⁾. 4 - أبو يحيى الناقد المتوفى سنة 285هـ ، روى أنه كلمته الحوراء⁽¹⁷⁸⁾. وأمثال هذه المرويات في كتب السنة غير قليل، ولم يستنكر ذلك أحد ولم يتهّم أصحابها بالغلو. ومما يدلّ على عدم الملازمة بين تحديث الملائكة والنبوة ما رواه الكليني عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر [الباقر] (عليه السلام): «إن علياً كان محدّثاً»، فخرجت إلى أصحابي فقلت: جئتكم بعجوبة فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: كان علي (عليه السلام) محدّثاً، فقالوا: ما صنعت شيئاً، ألا سألته من كان يحدّثه، فرجعت إليه.. فقال لي: يحدّثه ملكٌ، قلت: تقول: إنّه نبيّ؟ قال: فحرّك يده - هكذا⁽¹⁷⁹⁾ - أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين أو ما بلغكم أنه قال: وفيكم مثله⁽¹⁸⁰⁾؟! وفي «بصائر الدرجات» هذا الخبر هكذا: عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): أأستحدثتني أنّ علياً كان محدّثاً؟ قال: بلى. قلت: من يحدّثه؟ قال: ملك. قلت: فأقول: إنّه نبيّ أو رسول؟ قال: لا. بل مثله مثل صاحب سليمان ومثل صاحب موسى، ومثل ذي القرنين⁽¹⁸¹⁾، [أما بلغك أنّ علياً سئل عن ذي القرنين، فقالوا: كان نبياً؟ قال: لا، بل كان عبداً أحبّ الله فأحبّه وناصح الله فناصح]⁽¹⁸²⁾. ولا بدّ من الإشارة إلى بعض رواياتنا التي تتحدّث عن مصحف فاطمة أنه من إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي (عليه السلام): 1 - فعن علي بن سعيد عن أبي عبد الله (عليه السلام): «... وعندنا والله مصحف فاطمة، ما فيه آية من كتاب الله وانه لإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي (عليه السلام) بيده»⁽¹⁸³⁾. 2 - عن محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) «... وخلفت فاطمة مصحفاً ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله أنزل عليها إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي»⁽¹⁸⁴⁾. 3 - عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله (عليه السلام): «... وعندنا مصحف فاطمة (عليها السلام) أما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه إملاء رسول الله وخط علي»⁽¹⁸⁵⁾. هذه الروايات الثلاث تخالف الروايات المستفيضة المتقدمة في حقيقة مصحف فاطمة، حيث ذكرت أنه «إملاء رسول الله»، والثانية منها لا

(177) ابن الجوزي: المنتظم 82/17 ، وصفة الصفوة 250/2.

(178) ابن الجوزي: المنتظم 386/12، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 362/8.

(179) لعلّ المراد أنه أشار بيده نفيّاً، و«أو» لعلّها من زيادة النسخ، ولعلّها هو، وفي البصائر: وكصاحب سليمان..

(180) الكليني: الكافي 271/1.

(181) الصفار: بصائر الدرجات/ 323 ط. المرعشي.

(182) الأميني: الغدير 48/5 عن بصائر الدرجات، إلا أنّ في البصائر المطبوعة سقطت هذه العبارة.

(183) المجلسي: بحار الأنوار 41/26، 271/47، والصفار: بصائر الدرجات/ 153 ط. المرعشي.

(184) المجلسي: بحار الأنوار 42/26، والصفار: بصائر الدرجات/ 155 ط. المرعشي.

(185) المجلسي: بحار الأنوار 48/26 - 49، والصفار: بصائر الدرجات/ 161 ط. المرعشي.

تخلو من تهافت حيث جعلته كلاماً من كلام الله أنزل عليها، وفي عين الحال جعلته من إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولو كان من إملاء الرسول (صلى الله عليه وآله) لما كان منزلاً عليها بل عليه. والحاصل أنه لا بد من علاج هذه الروايات أو طرحها، والعلاج بأحد وجوه: 1 - ربما كان ذلك من باب اشتباه الراوي أو الناسخ، حيث خلط بين الصحيفة الجامعة التي أملاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) وخطها بيمينه، وبين مصحف فاطمة الذي بينت الروايات أنه حدث الملك به فاطمة وكتبه علي (عليه السلام)، خاصة كون الاثنين واردين معاً في نفس النصوص المذكورة. 2 - أن يكون المراد برسول الله في هذه الأخبار الملك الذي كان يحدث فاطمة (عليها السلام)، لا النبي (صلى الله عليه وآله) (كما احتمله المجلسي). 3 - كما يحتمل أن يكون مصحف فاطمة (عليها السلام) متضمناً لبعض المعارف التي تلقتها عن أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالاضافة إلى ما تقدم من الأمور التي كان يحدثها بها الملك، ولعل الرواية التي تذكر شمول المصحف المذكور لوصية فاطمة (عليها السلام) تقصد هذا. فيصح عندئذ أنه من إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا الاعتبار، والله أعلم. 4 - كما يحتمل أن تكون فاطمة (عليها السلام) قد تركت مصحفين، الأول دونت فيه بخط علي (عليه السلام) ما حدثتها الملائكة به بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله)، والآخر دونت فيه بعض العلوم التي أملاها عليها وعلى علي (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعليه فيتعدّد الموضوع.

وعلى أي حال فهذا لا يضرّ بمقصودنا، وهو نفي التهمة التي يتمسك بها المخالفون، حيث صرّحت جميع الأخبار - بما فيها هذه الثلاثة المتقدمة - بنفي القرآنية عن مصحف فاطمة. في نهاية المطاف نذكر أن المصحف المذكور بقي عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يتوارثونه مع بقية الكتب المتضمنة لعلوم الأنبياء والرسل الماضين، ومع صحيفة الأحكام الجامعة التي أملاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام)، وقد تحدثنا فيما مضى عن هذه الصحيفة بشكل مفصل. وقد كان هذا الميراث العلمي يشكل أحد علائم الإمامة الكبرى. المهم هو الإشارة إلى أن مصحف فاطمة كبقية الصحف والكتب لم تنتقل إلى غيرهم (عليهم السلام)، ولم تصل إلى شيعتهم، وليس هناك أي واقع لما يدّعيه افتراء بعض الكتاب من كون هذا المصحف متداولاً في بعض مناطق الشيعة، لا في بلاد الحجاز ولا في غيرها، والمؤسف أن أصحاب هذه الأقلام يطلقون العنان لأقلامهم دون تدبّر ولا تثبّت، ويأخذون معلوماتهم من العوام، ويصدقون كل مقولة للطعن والتشنيع، فيثبتونها في كتبهم لتصبح بعد ذلك مصادر يعتمد عليها الأجورون والساعون وراء تفريق المسلمين وزرع الفتن بينهم. نسأله تعالى أن يعصمنا من الزلل وأن يغفر لنا هفوات الفكر واللسان وأن يحفظ المسلمين من كيد الشياطين وأهل الفتن.

* * *

مصادر البحث

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (911 هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، منشورات الرضي وبيدار وعزيزي، قم، (1367 هـ . ش).
- 3 - احقاق الحق وازهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي (1019 هـ)، تعليق: شهاب الدين النجفي المرعشي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم، (الطبعة الاولى 1376 - 1413 هـ).
- 4 - الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (413 هـ)، تحقيق علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.
- 5 - الارشاد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (413 هـ)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، (1413 هـ).
- 6 - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين أحمد القسطلاني، دار الفكر عن ط . بولاق، بيروت، (1304 هـ).
- 7 - الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (460 هـ)، تحقيق السيد حسن الخراسان، دار الكتب الاسلامية، طهران، (1390 هـ).
- 8 - أصول الحديث، الدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت (1409 هـ).
- 9 - أضواء على السنة المحمدية، محمود ابو ريّة، الطبعة الخامسة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- 10 - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 11 - أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (1371 هـ)، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت.
- 12 - الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (413 هـ)، تحقيق: حسين الاستاذ ولي وعلي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، (1412 هـ).
- 13 - الأمالي أو المجالس، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، (381 هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (1410 هـ).

- 14 - أمالي الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (460هـ)، المكتبة الأهلية، بغداد، (1384هـ).
- 15 - الامام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية (1392هـ).
- 16 - الامام الهادي (عليه السلام) من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، (1415هـ)، مركز نشر آثار الشيعة، قم، الطبعة الأولى (1413هـ).
- 17 - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (1111هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط. أولى.
- 18 - البداية والنهاية، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (474هـ)، مكتبة المعارف، بيروت (1966م).
- 19 - بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار (290هـ) تحقيق: ميرزا محسن التبريزي، مكتبة المرعشي النجفي، قم، (1404هـ).
- 20 - تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين الواسطي الزبيدي، دار الفكر، بيروت.
- 21 - تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (463هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 22 - تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.
- 23 - تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة (276هـ)، دار الجيل، بيروت (1393هـ).
- 24 - تدوين السنة النبوية، السيد محمد رضا الجالي، مكتب الاعلام الاسلامي، قم (1414هـ).
- 25 - تذكرة الحفاظ، ابو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي (748هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- 26 - تلخيص المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، الذهبي، على هامش المستدرك، دار المعرفة، بيروت.
- 27 - تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (460هـ)، تحقيق السيد حسن الخراسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، (1365 هـ ، ش).

- 28 - الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت.
- 29 - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، السيوطي (911 هـ)، مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، (1358هـ).
- 30 - الجفر الجامع والنور اللامع، محمد بن طلحة النصيبي الشافعي (562 هـ)، المكتبة الحديثية، بيروت.
- 31 - جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (321هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت (ط. الأولى 1987م).
- 32 - الحديث والمحدثون، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 33 - حقائق هامة حول القرآن الكريم، جعفر مرتضى العاملي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم (1410هـ).
- 34 - حياة الامام علي الهادي (عليه السلام)، باقر شريف القرشي، دار الكتاب الاسلامي، قم (1408هـ).
- 35 - حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري (808 هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- 36 - الحياة السياسية للامام الرضا (عليه السلام)، جعفر مرتضى العاملي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم (1403هـ).
- 37 - الحيوان، ابو عثمان الجاحظ (255هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، المجمع العلمي العربي الاسلامي، بيروت (1388هـ).
- 38 - الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (573 هـ)، مؤسسة الامام المهدي (عج)، قم، (1409هـ).
- 39 - الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (381هـ) مؤسسة النشر الاسلامي، قم (1403هـ).
- 40 - خلاصة عبقات الأنوار في امامة الأئمة الأطهار، السيد علي الميلاني، مؤسسة البعثة، طهران (1405هـ).
- 41 - دائرة المعارف الاسلامية، جماعة من المستشرقين، يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتناوي، ابراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت.
- 42 - رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي الكوفي الاسدي (450هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم (1413هـ).

- 43 - سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (275هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت (1395هـ).
- 44 - السنن الكبرى، احمد بن الحسين بن علي البيهقي (458هـ)، دار الفكر، بيروت.
- 45 - سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي الشافعي (303هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- 46 - سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط . سابعة 1410هـ).
- 47 - شرح المواقف، الشريف علي بن محمد الجرجاني (812هـ)، مطبعة السعادة، مصر (1325هـ).
- 48 - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (655هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء التراث العربي، بيروت (1385هـ).
- 49 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.
- 50 - صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري (256هـ)، دار الفكر، بيروت (1401هـ).
- 51 - صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحجاج القشيري (676هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت (1407هـ).
- 52 - صفة الصفوة، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (597هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت (1413هـ).
- 53 - الصواعق المحرقة، احمد بن حجر الهيتمي (974هـ)، المطبعة الميمنية، مصر (1312هـ).
- 54 - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري (230هـ)، دار بيروت، بيروت.
- 55 - عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني (855هـ)، دار الفكر، بيروت.
- 56 - العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي مؤسسة الهجرة، ايران (1409هـ).
- 57 - الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبدالحسين الأميني النجفي، دار الكتب الاسلامية، طهران (ط . ثانية 1366هـ).

- 58 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852 هـ)، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار المعرفة، بيروت.
- 59 - فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي، أحمد بن محمد الحسني المغربي (1380 هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف (1388 هـ).
- 60 - الفصول المائة في حياة أبي الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، السيد أصغر ناظم زاده القمي، انتشارات أهل البيت (عليهم السلام)، قم (1411 هـ).
- 61 - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، محمد بن عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت.
- 62 - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت (1403 هـ).
- 63 - قرب الاسناد، عبدالله بن جعفر الحميري (القرن الثالث)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم (1413 هـ).
- 64 - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (329 هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران (1363 هـ. ش).
- 65 - كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (1067 هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- 66 - كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (381 هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (1390 هـ).
- 67 - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي المتقي الهندي (975 هـ) تحقيق: صفوة السقا وبكري حياّتي، مؤسسة الرسالة، بيروت (1413 هـ).
- 68 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، نشر أدب الحوزة، قم (1405 هـ).
- 69 - مجلة رسالة الثقلين، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، قم (1414 هـ).
- 70 - مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (1085 هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، المكتبة الرضوية، طهران (1395 هـ).
- 71 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (807 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (1408 هـ).
- 72 - المراجعات، عبدالحسين شرف الدين (1377 هـ)، تحقيق: حسين الراضي، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، قم.

- 73 - مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (241هـ)، دار صادر، بيروت، مصورة عن الميمنية بمصر.
- 74 - مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي الموصلي (307هـ)، تحقيق: حسين سليم اسد، دار الثقافة العربية، دمشق (1412هـ).
- 75 - المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة الكوفي (235هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت (1409هـ).
- 76 - معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري، مؤسسة البعثة، طهران (1413هـ).
- 77 - معاني الأخبار، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (381هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم (1379هـ).
- 78 - المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (360هـ)، دار الفكر، بيروت (1918م).
- 79 - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (360هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت (ط . ثانية).
- 80 - المقدمة (العبر وديوان المبتدأ والخبر)، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ)، انتشارات استقلال، طهران (1410هـ).
- 81 - مكاتيب الرسول(ص)، علي الأحمد، نشر يس، الطبعة الثالثة، قم (1363هـ . ش).
- 82 - ملحقات احقاق الحق، شهاب الدين المرعشي النجفي، مكتبة السيد المرعشي، قم (1408هـ).
- 83 - مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت (1412هـ).
- 84 - المنتظم في تاريخ الأمم، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (597هـ)، تحقيق: محمود مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت (1412هـ).
- 85 - من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (381هـ)، دار الكتب الاسلامية، طهران.
- 86 - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان، قم (1367هـ . ش).
- 87 - نهج البلاغة (مجموعة خطب أمير المؤمنين(عليه السلام))، الشريف الرضي.

88 - وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (1104هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم (1413هـ).

89 - ينابيع المودة، سليمان بن ابراهيم القندوزي (1294هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف (1384هـ).

* * *

(محتويات الكتاب)

الموضوع الصفحة

تمهيد ... 5

الصحيفة الجامعة أو كتاب علي(ع) ... 21

كتاب علي(ع) في النصوص ... 22

شهادات حسية ... 34

الأئمة(عليهم السلام) لا يحدثون إلا عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) ... 39

الكتب والصحائف الأخرى ... 51

صحيفة علي(ع) ... 51

التعارض بين روايات صحيفة علي(ع) وكتابه ... 55

صحيفة الناموس ... 63

صحيفة تدعى العبيطة ... 65

صحيفة أخرى في ذؤابة السيف ... 65

صحيفة الفرائض ... 67

كتاب الجفر ... 68

إخفاء الكتب عند الخوف ... 69

أسباب إخفاء الكتب ... 70

الجفر حقيقته، وما قيل عنه ... 79

الجفر في اللغة ... 82

هل من معنى اصطلاحى؟ ... 82

الجفر في حديث أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ... 83

دعوى لا أصل لها ... 86

كتاب ابن طلحة ... 95

مصحف فاطمة(عليها السلام) بين الحقيقة والأوهام ... 99

المصحف في اللغة ... 102

104 ... مصحف فاطمة ((عليها السلام)) في أخبار أهل البيت ((عليهم السلام))

108 ... فاطمة ((عليها السلام)) محدّثة

111 ... المحدثون عند أهل السنة

119 ... مصادر البحث

131 ... محتويات الكتاب

* * *